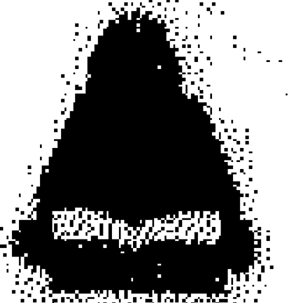
روائع الأدب العالمى للناشئين

هى أو عائشة

تأليف: سير هنرى رايدر هاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين



هي أو عائشة

تأليف: سير هنري رايدر هاجارد
تبسيط: مايكل ويست
ترجمة: صلاح عز الدين
مراجعة: مختار السويفي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

هذه ترجمة لرواية :

SHE

By : SIR HENRY RIDER HAGGARD

رئيس التحرير : مختار السويفى

الاخراج الفنى : الحبيبة حسين

مقدمـــة

يتميز الأديب الانجليـيزى العظيم «سـير هنرى رايدر هاجارد» بالخيال الخصب والقدرة الفائقة على نسج الأحداث المثيره ، وخلق الشخصيات الروائية ذات الجاذبية الشـديدة .

واذا بدا القارىء فى قراءة السـطور الأولى من اية رواية من رواياته الشهيرة ، فلا يستطيع أن يبعد

عينيــه عن السطور التاليــة ، ولا يستطيع ان يؤجل القراءة الى وقت آخر ، أو يتوقف عند فصل معين . . ولا يملك الا ان يواصــل القراءة الممتعة حتى آخر كلمة ، مسحورا بالأسلوب البسيط الآسر ، وبالأحداث المتلاحقة المبهرة التى تأخذ الألباب .

وقد فطنت السينما العالمية الى تلك الخاصــية الديناميكية التى يتميز بها « الحــدث » فى أعمال هذا الأديب القــدير ، فاخرجت معظم رواياتــه فى افــلام ضخمــة حازت شهرة عالميــة ، وما زالت تلقى نفس الرواج والاقبال الذى لاقته منذ انتاجهــا لأول مرة منذ عشرات السنين .

ولد **هنرى رايدر هاجــارد** فى برادنهــام هول بمدينة نورفولك بانجلترا فى ٢٢ يونيو سنة ١٨٥٦ ، ومات فى لندن فى ١٤ مايو سنة ١٩٢٥ عن عمر يناهز السبعين عاما ، قضاها فى حيــاة حافلة بشتى المشاغل والهوايات . . فمن ممارسة مهنــة المحاماة الى تقلد الوظائف الحكومية ، الى ممارسة حرفة الزراعة التى الف فيهــا كتبــا . . الى ان أدركتــه حرفــة الأدب

فمارسها كهواية أبدع فيهـا مجموعـة من الروايات الشهيرة التى صدرت منها عشرات الطبعات .. واغلب الظن أنها ستجد طريقها الى المطـابع مرات اخرى ومرات ، لتصدر بمختلف اللغات التى ترجمت اليها فى المـاضى ، وستترجم اليها فى المستقبل .

وقد عمل **هنرى رايدر هاجارد** فترة طويلة من حياتـه بالادارة القانونيـة لاقليم الترنسفال بجنوب افريقيا ، حين كان هـذا الاقليم خاضـعا للاستعمار البريطـانى .

ولذلك فلم يكن من الغريب أن نرى معظم رواياته الأدبية تدور احداثها فى افريقيا .. ولم يكن غريبـا ايضا أن يؤلف كتابا عن أساليب وتاريخ الاسـتعمار فى افريقيا .. وقد منح لقب « سـير » فى عام ١٩٢٥ تقديرا لخدماته للامبراطورية البريطانية .

ولعل أشـهر رواياته التى يعرفهـا قراء الأدب واحبابه فى مختلف أنحـاء العالم روايات : « **الفجر** » ١٨٨٤ .. و « **كنوز الملك سليمان** » ١٨٨٥ ..

و «هي او عائشة» و «**نجمة الصباح**» ١٨٨٧ ..
بالاضافة الى رواياته وكتبه الأخرى الأقل شهرة مثل
«**كيتويو وجيرانه البيض**» ١٨٨٢ .. و «**ايريك
برايتيين**» ١٨٨٣ .. و «**ابنة مونتزوما**» ١٨٩٣ ..
و «**شعب الضباب**» ١٨٩٤ .. و «**سوالو**»
١٨٩٨ .. و «**ابن العاطفة**» ١٩٠٣ .. و «**آلان
العجوز**» ١٩٢٠ .. و «**هي آلان**» ١٩٢١، فضلا
عن مؤلفاته الزراعية والتاريخية والسياسية مثل
«**انجلترا والزراعة**» ١٩٠٢ .. و «**الدنمارك
والزراعة**» ١٩١١ .. وكتاب «**الفقير والأرض**»
وكتاب «**ايام حياتي**» الذي سجل فيه ذكرياته
وتفاصيل حياته الحافلة . وقد صدر هذا الكتاب
الأخير سنة ١٩٢٦ أي بعد نحو عام من وفاته .

«**رئيس التحرير**»

(١) كيف وصلتنى هذه القصة

كنت أسير ، ذات يوم ، فى شارع فى مدينة كمبريدج ، مع صديق ، عندما لاحظت رجلين يتقدمان نحونا ، وقد تأبط أحدهما ذراع الآخر .. وكان الفتى فى الواقع أروع شاب رأيته فى حياتى ، طوله ستة أقدام ، ووجهه كامل الجمال . وعندما رفع قبعته

تحية لسيدة كانت تمر بجانبه ، رايت ان شعر راسه كان ذهبيا فاتحا .

وقلت لصديقى : يا له من رجل رائع المظهر .. :

واجـاب : نعم نعم .. انه أبهى شاب فى الجامعة وواحد من أفضلهم .. الآخرون يطلقون عليه اسم « الالـه الاغـريقى » .. الا أن اسـمه الحقيقى هو « فينسى » . ولكن انظر الى الرجل الآخر .. ان اسمه ((**هوللى**)) وهو مربى ((**فينسى**)) .. وله الولاية على الشاب حتى يبلغ الخامسة والعشرين من العمر .. بعض النـاس يطـلقون عليهمـا اسـم ((**الوحش والجمال**)) !

نظرت الى الرجل الأكبر سنا .. كان فى حوالى الأربعين من العمر ، قبيحا دميما ، بقدر ما كان الآخر جميلا رائعا .. كان قصيرا متين البنيان .. وكانت ذراعاه بالفتى الطول .. وكان شعره داكنا وعينـاه جد صغيرتين . واذا نظرت اليه خطر على بالك فورا ذلك القرد الضخم المعروف باسم ((**السعدان**)) قصير

الذيل قبيح المنظر .. الا ان شـيئا ما فى عينيه كان يجذبك اليه على الفور ويحببك فيه .

قلت لصديقى : انى احب ان التقى بهما !

فقادنى صـديقى اليهما وبقينا نتـكلم مدة .. تكلمنا عن افريقيا لأنى عدت توا من هنـاك .. وعندئذ فقط مرت بنا سيدتان وكان واضحا أن ((**فينسى**)) يعرفهمـا ثم حـدث شيء غريب ، فبينما اسـتدار ((**فينسى**)) ليكلم السيدتين ، توقف ((**هوللى**)) عن الكلام واستدار وعبر الشارع وبدا واضحا انه كان يخاف السيدات كما يخاف معظم الناس من حيوان مجنون . !

وفى عصر ذلك اليوم غادرت كمبربدج ، ولم أفكر كثيرا فى هـذا الأمر لمدة سنوات عديدة .. ثم تلقيت فقط منذ شهرين تقريبـا خطابا ، وعندما نظرت فيه ووجدت ان اسم مرسله ((**هوراس هوللى**)) استغرقنى ذلك بعض الوقت حتى أتذكـر ذلك الرجـل ! ..

ويقول الخطاب :

سـيدى ..

قابلتك منذ خمسة أعوام فى شارع من شـوارع كمبريدج . وكنت حينئذ مع ((**ليوفينسى**)) وكنت ، منـذ بعض الوقت ، قـد قرأت كتبـك **((كنوز الملك سليمان))** و ((**آلان كوونرمين**)) .. انهما طبعا من قصص الرحلات والحوادث الغريبة فى افريقيا .

والقصتان فى جانب منهما واقعيتان وخياليتان فى الجانب الآخر .

انى ارسل اليك هنا حزمة من الأوراق تروى لك اشياء حدثت لنا ، أنـا و ((**ليوفينسى**)) وكانت هذه الأشياء جد غريبة بحيث ارجو أن يمكنـك انت ان تصدقها .. هذا وأنـا ((**وليوفينسى**)) متفقان على ان القصـة يجب أن تنشر على الناس . ونحن على وشك أن نغادر لفرض سيمكنك طبعا أن تخمنه بعد أن تقرأ قصتنا وتشرف على طبعها . كما ارسل اليك الخاتم والقطعة المهشمة من الابريق الذى تتحدث عنه الأوراق ..

ليس لدى أشـياء أضيفها الى ما هو مكتوب هنا . من كانت ((هى)) ؟ من أين أتت ؟ كيف جاءت الى كهوف ((كور)) ؟ .. لم نعرف أبدا الاجابة على هذه الأسئلة ؟ .. وربما لن نعرف أبدا أو ربما .. اننا ، كما قلت ، ذاهبون فى رحلة . وأرجوك أن تتولى هذه الأشياء حتى نسأل عنها ثانيـة ، اذا عدنا ..

المخلص ((ل. هوراس هوللى))

هذه هى القصـة التى وصلتنى على هذا النحو الغامض ..

((هـ. رايدر هاجارد))

(٢) كيف جاء الصندوق الحديدى الى هوللى

انـــا ((**لودفيج هوراس**)) كنت جالسا ذات ليلة فى غرفتى بكمبريدج منذ عشرين عاما مضت .. وكان الوقت متأخرا ليلا ، وكنت اعلم اننى سأؤدى امتحانا فى بحر أســـبوع لو نجحت فيه لأمكن لى أن أصـــبح مدرسا فى الجامعة .. وكنت عند ذاك ، كما انا الآن ، رجلا بلا اصدقاء ! .. اننى ، كما اعرف جيدا ، انسان

قبيح دميم الشكل . نعم ، ان لى جسما قويا الى درجة غير عادية الا ان شكلى ومظهرى جعلا الناس يطلقون على اسم القرد ((**السعدان**)) وجعلنى هـذا اخاف النساء جميعا . على أننى مع ذلك لست مولعا بصحبة اقرانى من الرجال .

فى تلك الأيـام عندما كنت ادرس فى كامبريدج كان لدى أصـدقاء قليلون ، ومن بين هؤلاء كان هناك شـخص اسـمه ((**فينسى**)) .. وكان ـ ويا الغرابة لهذا .. ! ـ من أبهى الرجال الذين سبق لى رؤيتهم .

وجلست استذكر دروسى متاخرا ذات ليـلة فسمعت طرقة خفيفة على الباب . وكانت ليلة شديدة البرودة . وتذكرت حينئذ أن صديقى ((**فينسى**)) كان مريضـا وظننت أنه ربمـا يكون هو فأسرعت أفتح البـاب ..

وكان فعلا هو ((**فينسى**)) ،ويكاد يقع ارضا من الضعف ، وكان وجهه شـديد البياض مشـدودا من

الألم وكان هناك خيط رفيع دقيق من الدم يسيل من فمه . وكان يحمل صندوقا ثقيلا من الحديد ..

وضع الصندوق جانبا ثم تهاوى فى مقعده ، وظل دقائق لا يستطيع الكلام .. وصببت بعضا من النبيذ وقدمت الكأس اليه . ولما شربه بدا أفضل حالا الا أنه كان فعلا رجلا مريضا ..

قلت : دعنى أذهب فأحضر لك طبيبا !

وأجاب : كلا يا ((**هوللى**)) .. لقد انتهيت ! ولن يكون فى مقدورى أن أراك غدا ! .. وما من طبيب يستطيع أن يساعدنى .. ! والآن انظر الى بدقة واصغ الى جيدا فانك لن تسمعنى أتكلم ثانية . لقد كنا أصدقاء مدة طويلة .. قل لى .. ماذا تعرف عنى ؟

ـ أعرف أنك غنى .. وأنك جئت الى الجامعة عندما أصبحت أكبر من معظم الفتيان هنا .. وأعلم أيضا أنك كنت متزوجا .. وأن زوجتك ماتت .. وأعلم كذلك أنك كنت أيضا أفضل صديق لى .. !



وسقط على كرسيه ..

ـ هل عرفت أن لى ابنا .. ؟

ـ كـلا .. !

ـ نعم ، لدى ابن . انه فى الخامسة من عمره . ماتت أمه عندما ولد . ومن أجل ذلك لم أعد أرغب فى رؤيته .. ! ((**هوللى**)) ! .. انى اريد ان أجعلك وليا على ابنى !

قفزت من مقعدى قائما **وهتفت قائلا** : انا . ! ؟

ـ نعم . لقد كنت أبحث عن شخص أعهد اليه بابنى .. وبهـذا الشىء ! وأشـــار الى الصـــندوق الحديدى .. وأنت ذلك الرجل يا ((**هوللى**)) .. أنت قوى وأمين وعطوف ! .. اسمع .. ان هـــذا الولد سيكون آخر شخص باق من أقدم العائلات فى العالم ! قد تضحك على ما أقول الآن ! .. ولكن فى يوم من الأيــام سيثبت لك فوق كل شىء اننى من ســـلالة خمسة وستين جيلا من الأجيـــال المتعاقبـــة ، بداها قديما جندى اغريقى كان يعمل فى خدمة فرعون ملك مصر القديمـــة . وكان اســـمه ((**كاليكريتس**)) ..

و « **كالى** » كما تعلم ، كلمة يونانية معناها « **جميل** » و « **كرينس** » معناها « **القوة** » .

ان ابن هذا الجندى قد أصبح كاهنا للربة ايزيس . وكان ذلك منذ حوالى ألفى عام مضت . ووقع الكاهن فى حب اميرة من اسرة فرعون . وترك هو والأميرة بلاد مصر سرا ، وهربا على ظهر سفينة . ودفعت الريح بسفينتهما الى ساحل افريقيا . وقتل جميع من كانوا على ظهرها سوى كاليكريتس والأميرة ثم انقذتهما ملكة بيضاء جميلة تحكم شعبا من المتوحشين .. !

وعاشا فى منزلها .. وستعرف القصة من الوثائق الموجودة فى هذا الصندوق ، وستعرف ايضا ان هذه الملكة قد قتلت كاليكريتس ، وأن الأميرة فرت بطفلها الى اليونان ..

ان الطفل وأطفاله وأطفالهم قد حملوا جميعا اسم « **فنديكس** » وهو اسم لاتينى معناه المنتقم ، وهو الذى سيتولى تخليص الحق من فاعل الجرم .

وتحركت العائلة ، كما مضت السنون ، من

اليونان الى روما .. ومن روما الى فرنسا .. ومن فرنسا الى انجلترا .. وتحول اسم ((**فيندكس**)) نفسه الى ((**فينسى**)) .

ان الأشياء التى داخل هذا الصندوق قد انتقلت من الأب الى الابن .. ثم اعطاها أبى لى .. وكان الأمل دائما هو أن يقوم واحد منهم ، فى وقت ما بهذا الانتقام من جريمة القتل التى وقعت منذ مئات الأعوام على يد الملكة البيضاء فى افريقيا . لقد حاولت انا ان اقوم بواجبى . حاولت أن أعثر على المكان الموصوف فى ذلك الصندوق ولكنى لم اظفر بنجاح .

وفى طريق عودتى من افريقيا التقيت بزوجتى ، وماتت وهى تلد ابنى ((**ليو**)) .. ثم استدرت أنا عائدا الى العمل ثانية وفكرت قبل أن أذهب الى افريقيا من جديد أن اتعلم اللغة العربية .. ولهذا جئت الى هنا ، الا أن الوقت الآن قد تأخر .. !!

واستطعت ان أرى انه على حق . ان الوقت متأخر فعلا . واذ رقد هو على ظهر مقعده فاقد

الأنفاس بعد أن تكلم حتى هذا المدى ، فقد اصبحت شفتاه بيضاوين .. كما كانت علامات الموت تبدو واضحة على وجهه .. !

واخيرا تكلم من جديد ..

ـ انى اسألك أن تتولى امر ابنى ((ليو)) عندما اموت .. وعلى هذه الورقة كتبت الأشياء التى أحب ابنى ((ليو)) أن يتعلمها .. وعندما يصل الخامسة والعشرين من العمر ، افتح هذا الصندوق .. دعه يرى ما فيه ويقراه وأن يقرر ما اذا كان على استعداد للقيام بالواجب الملقى عليه .. هل تفعل هذا من أجلى اذن ؟ .. انى أتوسل اليك وانا على وشك الموت أن تقبل منى هذا الطلب !

ـ وكيف أستطيع أن أرفض هذا الطلب !!!

ـ وداعا يا صديقى !

قال هذا وهو يأخذ بيدى .. ثم خرج الى المدينة المظلمة ...

بدت قصته أغرب قصة وقعت لى وحوادثها اكثر الأشياء التي سمعت جنونا . ! ولكنه كان صديقى ولم يكن بد من أن يتولى شخص امور هـذا الطفل الذى كان عمره خمسة أعوام فقط .

وبقيت انـا غير قادر مدة طويلة على النـوم وفكرى كله يدور حول هذا الأمر واتساءل عما اذا كنت قد فهمت تماما ..

وبدوت كأننى كنت نائما لمدة خمس دقائق فقط عندما سمعت صوت خادمى يدعونى **فقلت** :

ــ ما الأمر يا ((**جون**)) ؟

سألته عندما رأيت وجهه قد ابيض تماما وبدا فى عينيه أن شيئا قد اخافه **فقال** :

ــ ذهبت لأنادى المستر ((**فينسى**)) .. وهنـاك وجدته راقدا .. وقد مات !

(٣) لبو .. يكبر وينمو

اخـذت الصـندوق الحديـدى معى الى لندن ووضعته فى خزانة الحفظ .

ووجدت منزلا ملائما لى وللصبى فى كمبريدج . وطبعا لم ارد ان تكون فى المنزل امراة .. لقد كان الولد اكبر سنا من ان يحتـاج الى امراة .. وبشىء من الصعوبة وجدت رفيقا شابا اسمه ((**جوب**)) كان

أكبر أفراد عائلة تتسكون من ثلاثة عشر عضــوا .. وبذلك كان قد اكتسب الكثير من التجارب فى رعايته لاشقائه وشقيقاته الصغار ..

واخيرا وصل الطفل فى صحبة امراة بكت عندما تركته . كان اجمل طفل وقعت عليــه عيناى . كان وجهه شديد الشبه بوجه أبيه ، وكان له نفس الشكل المتكامل وعلى راسه شعر ذهبى ناصع ، واذكر جيدا كيف وقف هناك وضوء الشمس الهابط من النافذة يلهو بشــعره . كنت جالســا فى مقعــدى .. وكان ((**جوب**)) واقفا فى الركن ممسكا بحصــان خشبى فى يده ..

وقف الصبى ونظر الى ثم مد يده وجرى نحوى **قائــلا :**

ـ انى احبك .. انت دميم الشكل .. ولكنك طيب القلب !

نما الطفل ((**ليو**)) واصبح صبيا ، ثم أصبح الصبى شابا ، واذ اخذ ينمو فقد نما معه جماله ونمت

قوتــه ، واتبعت بحرص ودقــة أوامر والده حــول مدرسته وتعليمه . تعلم اليونانية والعربية ، وتعلمت انــا ايضا العربية حتى أصبح رفيقا له .. وعندما وصل الثامنة عشرة من العمر ذهب الى الجامعة وبعد ذلك درس القانون ..

كان امامى شيءواحد اتعبنى فيه ((**ليو**)) اثناء كل هــذا الوقت ، ذلك أن كل امرأة رأتــه وقعت فى حبه .. وسبب لنا هذا بعض الصعاب الا أنه ، على اى الأحوال ، كان شابا طيبا جــدا ، اكثر اهتمــاما بالرياضة ودروسه ورفاقه الرجال منه بالنساء .. فكان كل شيء فى النهاية خيرا وعلى ما يرام .. وهكذا حتى احتفلنا بعيد ميلاده الخامس والعشرين ..

(٤) فتح الصندوق الحديدى

فى اليوم السابق على عيد الميلاد الخامس والعشرين ، ذهبنا الى لندن وعدنا بالصندوق الى كمبريدج .. وقررنا ان نفتحه بعد الافطار غداة اليوم التالى على يوم ميلاده .

وعلى ذلك فانه بعد الافطار احضر « جوب »

الصندوق الى غرفة الجلوس وكان على وشـك مغادرة الحجرة فقلت « انتظر لحظة » يا ((**جوب**)) .. اذا لم يكن يضيرك هذا يا ((**ليو**)) فانى أحب أن يبقى ((**جوب**)) معنا . يجب أن يكون هناك شخص ثالث ليرى أن كل شيء صحيح ..

قال ((**ليو**)) : نعم بالطبع دعه يبقى معنا !

اخذت المفاتيح التى أعطانيها أبو ((**ليو**)) ليـلة موته ، من هـذا الصـندوق الذى يحتوى على أثمن المملوكات .. كان هناك ثلاثة مفاتيح ، واحد منهـا حديث والثانى من طراز قديم .. أما الثالث فلم يكن يشبه أبدا مفتاحا رأيته من قبل .. كان قضيبا من الفضـة بقطعات على طرفه ومثبتا عرضيا بقضيب فضى آخر .

اخذت المفتاح الأول وفتحت الصندوق الحديدى وساعدنى ((**ليو**)) على ازاحة الغطـاء الثقيل .. وفى داخله كان هنـاك صندوق آخر مصنوع من الخشب

الأسود . وكان عمره فيما يبدو كبيرا ذلك أن الخشب الجاف الثقيل قد تآكل وتحول الى تراب ..

واخذت المفتاح الثاني وفتحت الصندوق الأسود وبداخله كان يوجد صندوق فضى يبلغ حجمه اثنتي عشرة بوصة وارتفاعه ثماني بوصات . وكان مغطى برسوم مصرية قديمة ومنحوتا نحتا جميلا من المعدن . أخذته ووضعته على المنضدة ثم فتحته بالمفتاح الفضى الغريب الشكل .

داخل الصندوق الفضى كانت هناك قطعة من الورق مكتوبة بخط صديقى المتوفى يقول : الى ولدى « ليو » .. وبعد ذلك تناولت لفافة من الورق كتب على فمتها : الترجمة الانجليزية للكتابة الاغريقية على الابريق ..

وتحت هذا كان هناك شيء مربوط فى قطعة من قماش اصفر . فتحت قطعة القماش ووجدت فى داخلها قطعة محطمة من ابريق كبير . وفى داخل هذه القطعة المحطمة رايت كتابة كثيرة . وتمت الكتابة بأيد

عديدة مختلفة وبلفات متباينة ولكن الجزء الخارجى قد غطى بقدر كبير من الكتابة المتزاحمة وكلها بلغة اعرف انها الاغريقية .. وفى وقت ما انكسر وتحطم الى قطعتين ثم ضما معا مرة ثانية ..

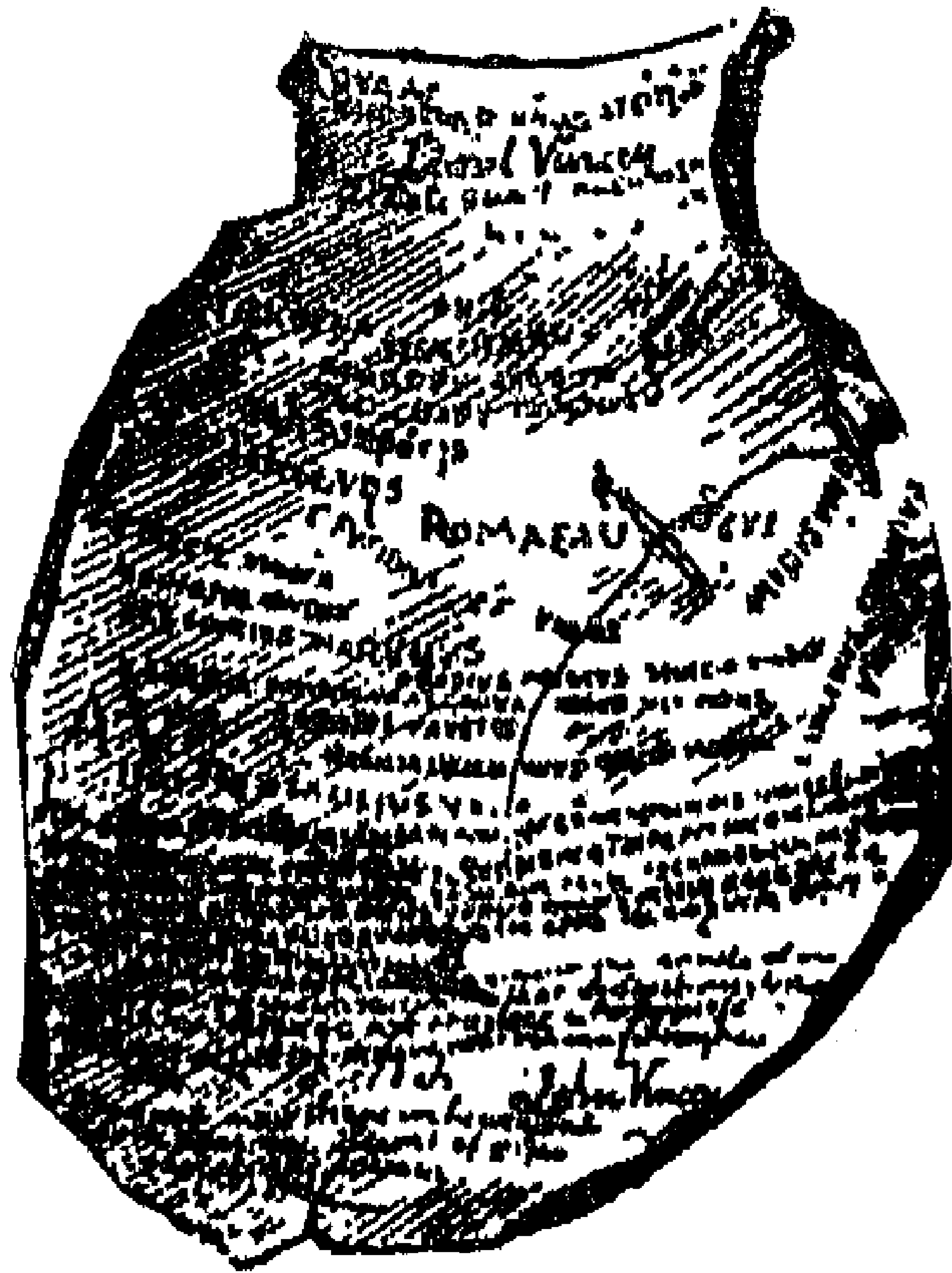
سال « ليو » : هل هناك شيء آخر ؟

وتحسست قاع الصندوق وجذبت شيئا ثقيلا جافا موضوعا فى حقيبة . وعثرنا على خاتم مزين بحجر كبير داكن اللون وعلى الحجر ثلاثة رسوم محفورة عليه ..

كانت هذا الرسوم كتابة مصرية معناها « ابن رع » ، و « رع » هو اله الشمس . وفى نفس الحقيبة كانت صورة أم «ليو » الاغريقية قد كتب خلفها : « زوجتى العزيزة » .

وقلت : هذا كل شيء » !

وضع « ليو » صورة أمه وقال : « فلنقرا الخطاب » !



الكتابات على القدر ..



الكتابات على الخاتم ..

« ولدى ليو ..

عندما تفتح هـذا الخطاب ستكون قد بلغت الخامسة والعشرين .. وسأكون انـا قد بلغنى الموت ونسينى كل من عرفونى .. وسيكون ((**هوللى**)) قـد اخبرك بالقليل عن تاريخ الأسرة المـاضي . وفى هـذا الصندوق ستجد قصـة جد غريبة كتبتها مرة منذ وقت طويل على قطعـة محطمة من ابريق افريقى .. اخبرنى ابى بهذه القصة عندما كنت فى التاسعة عشرة من عمرى وخرجت أستقصى لأكتشف ما اذا كانت القصة واقعية . وذهبت الى ساحل افريقيا ، شمال مصب نهر زامبيزى .. انهـا جزء معروف للقـلائل ولا يزورها أحد تقريبا وفيها تبدو صخرة كبيرة تشبه راس رجل افريقى . ومثل هـذا التل موصوف فى الكتابة الموجودة على الابريق ..

وصلت الى هناك وقابلت رجلا طرده أهله بسبب خطـأ ارتكبه وقال لى :

ــ بعيدا هناك داخل الديار يوجد بلد فيه جبال شكلها كالأكواب .. وهناك عدد من الكهوف الكبيرة ..

وحول هذه البلاد توجد أرض منخفضة تبتلع الرجال الذين يحاولون عبورها .. الا اذا كانوا يعرفون ما فيها من ممرات آمنة . وفى تلك الجبال والكهوف يعيش شعب يتكلم العربية وتحكمه امرأة بيضاء جميلة ولا يرونها الا نادرا وهى ذات سلطان كامل ، على كل الناس والأشياء ، الحى منها والميت .. !

كان الرجل مريضا جدا عندما قال لى هذا .. ومات بعد يومين ، وسقطت انا أيضا مريضا .. واضطررت الى العودة الى سفينتى .. وفى طريق عودتى الى انجلترا وقفت باليونان .. وهناك التقيت بوالدتك ..

أعتقد ان هذه القصة مكتوبة على ابريق محطم . وهى قصة حقيقية .. واعتقد كذلك أن هناك طريقة يمكن بها أن نجعل شعبا يعيش ويعيش .. الى الأبد .. !

قد تظن أن هذه القصة ان هى الا خرافة شخص مجنون ، وقد تظن أنه (حتى اذا كانت

حقيقية) فانه ليس من الحكمة ان تكون على صـــلة بمثل هذه القوى العجيبة .

اذا رايت هذا الراى فما عليك الا ان تدمر هذه الأوراق وان تدمر ما على الابريق من كتابـــة .. ! ولا تدع اطفالك واطفال اطفالهم تزعجهم بعد الآن تلك القصـــة الخطرة الحمقاء . أوقد ترغب ـ كما رغبت انا ـ أن تعرف ما اذا كانت القصة واقعية . أم لا .. وقد تقرر ان تذهب وان ترى بنفسك .. لك ان تختار وداعـــا .. !

قـــال ((**ليو**)) : حســـــنا .. مـــاذا تظن انت يا ((**هوللى**)) ؟

ـ اظن ان اباك كان مجنونا . ظننت هـــذا منذ عشرين عاما عندما جاء الى غرفتى بهذا الصندوق !

قال ((**جوب**)) : انه مجنون حقا !

ـ حســـنا . فلننظر ماذا تقول الكتابـــة على الابريق ..

واخذ ((**ليو**)) النسخة الانجليزية. **وقرا ما يلى :**

ـ انا ((**أمينارتاس**)) من عائلة فرعون .. أنـا زوجة ((**كاليكريتس**)) .. أكتب هـذا لابنى الصغير الذى اسميته ((**المنتقم**)) .. اكتبها لأنى لن البث أن أموت . عندما ذهبت أنا وابوك على ظهر مركب من مصر جئنا الى الساحل الشرقى لافريقيـا . وهنـاك القت بنا عاصـفة قرب صخرة تشـبه رأس رجـل افريقى . فقـد مات كل الرجـال الذين كانوا على السفينة ، ولكن رجالا متوحشين جلبونا بعد رحـلة عشرة أيام الى أن وصلنا الى جبل حيث كانت تظهر آثار مدينـة قديمـة كبيرة .. ولكن هـذه المدينة العظيمة قد دمرت منذ وقت بعيد .. وداخل الجبل توجد كهوف كبيرة . وجلبنا هؤلاء الرجـال الى ملكة شعب يضـع رجاله القـدور على رءوس الأجـانب الغرباء .. !

هـذه الملكة سـاحرة وتعلم كل أسرار الحيـاة والجمال وهى لا تموت ابدا .. واحبت ((**كاليكريتس**)) وارادت أن تقتله واخذتنا الملكة الى كهف كبير ..

بعيدا تحت الأرض . . . وفيه كانت « نار الحياة » ! . .
وقفت هى فى قلب النار وخرجت دون أن تمسها هذه النار بضر أو تنقص من جمالها . . ثم قالت لكاليكريتس « اقتل زوجتك . . وهبنى نفسك . . وسأبقى عليك حيا لا تموت . . ذلك انى انـا لا اموت وستعيش انت الى الأبد » . . ولكنه لم يرض . . ثم غضبت الملكة وقتلته . . ولكنها لم تستطع ان تقتلنى انا لأنى اعرف سحر القوم . ارسلتنى الى مصب النهر حيث ترد السفن الكبيرة . وهكذا وصلت أثينا . . والآن اقول لك يا ولدى « **المنتقم** » اعثر على هـذه المرأة واكتشف سرها فى الحياة . . واقتلها من اجل أبيك « **كاليكريتس** » . . واذا فشلت انت فاجعل ابنـك يفعلهـا أو اطفال اطفالك . . حتى يأتى واحد منهم تكون له الشجاعة أن يؤدى واجبه .

قلت : حسن يا « **ليو** » الآن تستطيع أن تقرر ماذا تفعـل فى ذلك انى أعـلم ماذا يدور فى ذهنى ان الابريق والكتابة واقعيان حقيقيان . . انها اغريقيـة قديمة ولكنى اظن أن آلامها وشكواها وفقدانها زوجها

قد دفعا بالمرأة الى الجنون فكتبت هـذا .. ولكنها لم تكن كاملة الرشاد عندما كتبت هذا ..

ـ أظن انه لا توجد كلمة حق واحدة فى القصـة يا سيدى وانى لأرجو يا مستر ((ليو)) ألا يكون لك يد فى هـذه الشئون .. انه لا يمكن ان يأتى منهـا خير .. !

وقال ((ليو)) : ربما كنتما على حق أنتما الاثنان ولكنى أقول هـذا : سأقوم انا بحل هذه المشكلة .. فاذا لم تكن صادقـة سأكون اذن قـد انهيتهـا .. ووضعت خاتمة لها وتوقف . **ثم قال** : اذا لم تجيئا معى فسأذهب وحدى ..

فقلت انا : حسن .. حسن .. إنا فى حاجـة الى عطلة وسنحصل اذن على صيد جيد .. !

وبعد ثلاثة أشهر كنا فى طريقنا الى زنجبار ..

(٥) عاصفة فى البحر

حصلنا على مركب عربى عبارة عن سفينة شراعية كما تبدو فى الصورة ، ووراءها قارب كنا قد جلبناه معنا من انجلترا .. وكان لهذا القارب حافظات هوائية مبنية فيه ومن شأنها أن تجعله طافيا حتى اذا امتلأ بالماء . وكان هناك أيضا صناديق للغذاء والمؤن .

كنا نبحر جنوبا بحذاء الساحل الشرقى لافريقيا ، وكانت الأرض تمتد الى يدنا اليمنى . وملأت الشراع ريح رقيقة . وكان البحر لطيفا تخرج منه موسيقى هادئة حانية . وفوقنا كان القمر وكان الليل صافيا يسمع فيه أدنى صوت ..

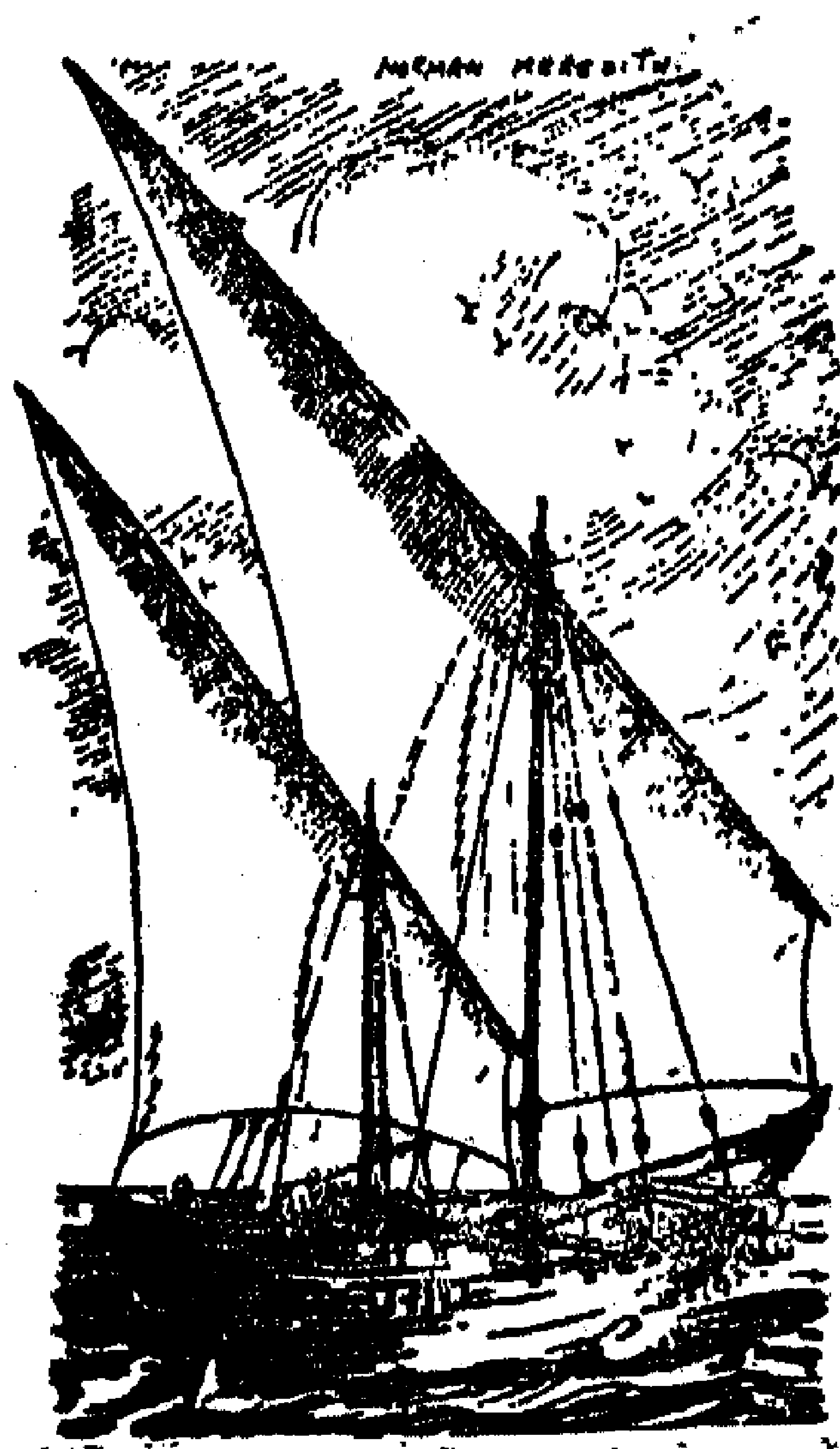
وكان يقود السفينة عربى اسمه ((**محمود**)) . **وفجأة رفع يده وقال** : اسمعوا . !

وجاءنا صوت بطيء عميق فوق المياه ..

قال محمود : هذا أسد !

قلت : غدا حوالى العاشرة مساء سنكون قادرين على رؤية هذا التل الذى يشبه رأس انسان .. هكذا يقول لى القبطان .

قال ((ليو)) : لقد كنت أجرب عربيتى معه .. لقد كان يشتغل بالتجارة فى هذا الجزء من افريقيا طول حياته . سألته ان كان يعرف شيئا عن المدينة المخربة والكهوف ..



السـفينة ..

وسألت أنـا : وهل يعرف ؟

ـ كلا .. انه يقول ان البلاد فيما وراء خط الساحل منخفضة رطبة غير صحية ومليئة بالثعابين .. !

ـ ما هذه السحب ؟ !

قالها ((ابو)) موجها الحديث الى محمود مشيرا الى كتلة سوداء على طرف السماء ..

ـ هـذه ؟ .. انها عاصفة .. عاصفة صغيرة ستمر بجانب السفينة !

وعند ذلك جاء ((**جوب**)) وقد لونت الشمس بشرته وبدا انجليزيا جدا ، **وقال :**

ـ سيدى لقد وضعت كل البنادق والمخزونات فى السفينة عند المؤخرة بحيث تكون جاهزة للرحلة اعلى النهر .. والقبطان يقول اننا سنكون هناك فى وقت مبكر من صباح غد .. الا اننى يا سيدى لا اثق فى هؤلاء الرجال ولذلك فانى سأنام ليلتى فى القارب .. اذا وافقت يا سيدى على ذلك .

ووافقت .. وكان الوقت يتقدم .. وبذلك فانني انا و ((ليو)) رقدنا لننام .

وكان الشيء التالي الذي عرفته هو سماع صوت رهيب تحدثه الريح القوية .. ثم صرخة فزع من الرجال .. وقفزت من مكاني وامسكت بحبل . وكانت السماء سوداء فوقنا ولكن كان القمر لا يزال يضيء امامنا . ورايت بضوئه موجة كبيرة ارتفاعها يبلغ نحو عشرين قدما . واستطعت ان ارى المياه البيضاء على تاجها ، وجاءت مندفعة الى الأمام ثم غرق كل شيء في ضوضاء الماء .

ومرت الموجة .. وبعد ذلك رايت شراع السفينة يطير بعيدا كأنه سحابة تدفعها ريح **وسمعت صوت ((جوب)) يصيح قائلا :**

ـ هنا يا سيدي .. تعال هنا في السفينة .

وكانت السفينة مليئة بالماء . ورايت محمود يقفز الى سطحها وقفزت انا الآخر وجذبني محمود

من ذراعى الى الداخل وقطع الحبل بمطواته عندما بدأت تتحرك ..

وصرخت انا فجأة : أين « ليو » .. ؟ ! .. « ليو » ! .. « ليو » .. ؟

قال « جوب » : لقد ضـــاع يا سيدى . !! .. انظر .. ها هى ذى موجة أخرى تهجم علينا ..

كان القمر الآن يكاد يختفى . الا أننى رأيت فى ضوئه الخافت الموجـة القادمة .. وفيها شىء داكن اللون . كانت فوقنـــا . وكانت السفينة تكاد تمتلىء بالمياه . ولكن حافظاتها الهوائية كانت تمسك بها وتجعلها عائمة على سطح المياه . وبدأ الشىء الداكن يأتى نحونا مبـــاشرة . ومددت ذراعى لأحمر نفسى منه ، الا أن يدى اطبقت على يد أخرى .. وامسكتنى اليد !! وانـــا طبعا رجـــل قوى .. وكانت السفينة تسند جانبى الا انى شعرت بأن ذراعى يكاد ينخلع منى خلعـــا !! ولو دام اندفـــاع المـــاء اطول من هذا فلابد أن اترك نفسى تذهب ضائعة ولكن الموجة مرت .. !



العاصفة ..

ولاح آخر اضواء القمر قبل ان يغطيه الظلام تماما فاضاء لنا وجه الرجل الذى تعلق بى .. لقد كان « ليو » ! « ليو » يجيء الى ثانية ، حيا او ميتا . بهذه الموجة الثانية .. !!

كان كل من « جوب » و « محمود » يشتغلان بحمية يزيحان الماء من قاع المركب . وانضممت اليهما سريعا . واخذ ثلاثتنا يعملون لانقاذ حياتهم وكانت العاصفة تجتاحنا من جميع النواحى . ثم سمعنا صوت الريح العميق وارتفعت فوق صوت الريح والمطر اصوات الموجات ترتطم على الصخور ..

وصعد القمر ثانية ثم بدا على بعد نصف ميل امامنا خط ابيض من الماء المقطع المتقاطع ، ووراءه خط ابيض ثان وازداد الصوت وضوحا وقوة .

صحت قائلا : اذهب وخذ قيادة المركب يا « محمود » .. يجب أن نخرج من هذه العاصفة !

جلست أنا و « جوب » مستعدين للتجديف ودفعتنا الريح والمياه الى الأمام .

وكان هناك مكان واحد حيث بدا الخيط الأبيض ارفع ، فأشرت اليه :

ـ قدنا الى هنا يا « محمود » !

رأيته يجذب بكل قوته لادارة القارب فى هذا الاتجاه .. وجذفت أنا و « جوب » بكل قوتنا . وكنا الآن فى وسطها وانقذف الماء المكسور عاليا فوق رءوسنا وجاءتنا موجة من ورائنا . رفعتنا وألقتنا فى مياه أكثر هدوءا ..

واصبح القارب مليئا الآن بالماء . وعلى بعد نصف ميل أمامنا كان الخط الأبيض الثانى ولكن العاصفة كانت الآن أكثر هدوءا ..

نظرت الى « ليو » كانت عيناه مفتوحتين ولكننا كنا الآن مدفوعين نحو الخط الثانى من الصخور .. وجاءت صرخة « محمود » .. وصلاة استنجاد من « جوب » .. ودفعتنا المياه أمامها وخلفها وسط موجاتها المتكسرة ..

وكانت العاصفــة قــد انتهت الآن تقريبـا .. واصبحت السماء صافيــة .. واخذ ضــوء القمر الأبيض يسطع فــوق البر والبحــر .. ونظرت الى أعلى .. الى الصـــخرة الكبـيرة المــاثلة أمامنـــا فى البحر .. واضـــاء القمــر من ورائنــا بحيث وقفت الصخرة سوداء مقابل السماء ..

وكانت الصــــخرة على شـــكل رأس رجـــل افريقى .. !!



الصخرة المنحوتة على شكل رجل أفريقى

(٦) بعض الصدق فى القصة

طلع ضوء النهار أخيرا ..

وجلست هنـاك فى القـارب أستمع الى همس المياه الرقيق . وكلما نظرت الى التل المـائل فى البحر، رأيت الصخرة الغريبـة الشكل ، يحيط أطرافهـا وهج الشروق .. لم يكن هناك شـك فى شأنها !!!

كانت هناك أنف الراس ، وكانت هناك العيون ، وكان هناك الفم .. الشكل الكامل للراس !!

الا أننى لم اكن ابدا مستطيعا أن أكتشف ما اذا كان شكلها هـذا من صنع يد انسانية ، أم انها كانت حادثة من حوادث الطبيعة ، ولكنها كانت قائمـة هناك امام البحر تماما كما راتهـا « آمينارتاس » الأمـيرة المصرية منذ الفى عام .

سـألت : حسـن .. ما رايـك فى هـذا يا « جوب » .. ؟

ورآها « جوب » للمرة الأولى **فقال** : يا الله !!

وأيقظت « ليو » الذى بادر **وسالنى** :

ـ ولكن اين القارب ؟ ماذا حدث ؟

ـ فقدنا القارب وفقدنا كل من كان عليـه من رجال ما عداانا نحن الأربعة .

ونظرت الى « ليو » **وقلت** :

ـ وانت نجوت بأعجوبة !!

ونظر « ليو » امامه وقال صارخا :

ـ ماذا ؟ ! .. هذا هو الراس الافريقى !! واذن فالأمر كله حقيقى !!

فاجبته :

ـ لا اوافق على هذا . علما بأن هذه الراس قد كانت هنا .. والدك رآها ! ... ولكنهـا قد لا تكون كتلك الراس التى تتحدث عنها الكتابة .. حتى اذا كانت هى نفس الراس فان هذا لا يثبت شيئا .. لا يثبت أن بقية القصة كلها حقيقية .

فقال « ليو » :

ـ انت شخص غير قابل للاقناع او التصديق !

ـ نعم .. انا فعلا غير مقتنع .. وانت الآن ستلاحظ أن قاربنا محمول الى شط رملى فى مصب النهر .. ويجب أن نجدف وان نحاول أن نجد مكانا يمكننا منه أن نصل الى الأرض .

وكان هناك حوالى مسافة ميل وذراع طويلة من الأرض الرماية أعلى من الأرض الباقية وذات جوانب مجورة، وسريعا ما وصلنا اليها ونزلنا الى البر .. ثم غسلنا أنفسنا ونشرنا ملابسنا وتركناها تجف .. ثم أحضر « جوب » شيئا من الطعام لافطارنا .

وبعد الافطار نظرنا لنتأمل ما حولنا فوجدنا مساحة من الأرض يبلغ طولها حوالى خمسمائة ياردة بينما لا يزيد عرضها من مائة ، تعلو من سطح الأراضى المنخفضة وراءها حوالى خمسة وعشرين قدما .

قال ((ليو)) : هذا مكان بناه الناس بايديهم .. كما جاءت هنا سفن كبيرة ..

قلت : لا تكن احمق .. ! .. من ذا الذى يبنى مكانا مثل هذا فى ارض واطئة وفى بلد لا تعيش فيه الا شعوب متوحشة .. هذا اذا كانوا يعيشون فيه على الاطلاق . ربما لم يكن دائما هكذا ، وربما كانت هذه الاراضى المنخفضة جافة فى قديم الزمان .

قال ((ليو)) : انظر هناك !

مشيرا الى شجرة اقتلعتهـا العاصفة وانتزعت جذورها المقلوبة من الأرض تاركة وراءها حفرة كبيرة.

ـ أليس هذا عملا حجريا فى قاع الحفرة ؟!

تسلقت هابطا الحفرة .. وهناك فى قاعها كانت احجار كبيرة مبنية الى جوار بعضها البعض .. وكانت وجوه الأحجار مسطحة بدقة وعناية واستطعت ان ارى فوقها العلامات التى تبين أين قطعت . وحفرت فى التربة بيدى ووجدت خاتما معدنيا كبيرا جدا .. كان عرضـه حوالى قدم كامل بينما يبلغ سمكه نحو ثلاث بوصات ..

ـ يبدو أن سفنا كبيرة جدا قد جاءت هنا ..

قال ((ليو)) هذا وهو يرقبنى .. ولم أستطع انـا ان أجيب . ربما كانت هذه الأرض جافة فى يوم ما .. وربما قامت هنا مدينة عظيمة قديمة !

قال ((ليو)) : يبدو أن هنـاك بعض الحـق فى القصـة .. الا يبدو لك ذلك واضحا !؟

نظرت حولى فوق الأرض المنخفضة ، وامتدت هـذه الى أبعد مما ترى العين .. كانت الشـمس تسكب الآن مزيدا من الحـرارة . وانتشـر حولها قناع خفيف من البخار ..

قـلت : هناك ثلاثة أشياء تبدو واضحة لى .. انه من الواضح اننا لا نستطيع أن نعبرها (واشرت الى الأرض الواقعة خلفنا) .. وثانيا فانه من الواضح اننا لا نستطيع أن نبقى هنا لأننا اذا بقينا فسنموت مصابين بالملاريا .. وهـكذا فانه من الواضح لى ، ثالثـا ، أنه ينبغى علينـا اما أن نخرج الى البحر فى القارب وأن نصل الى مكان بحـذاء الساحل او ان نصعد النهر ونرى اين وصلنا ..

قال ((ليو)) : لست أدرى ماذا ستفعلون ولكننى سأذهب الى النهر !

قال ((جوب)) : فليعيننا الله ! .

وقال ((محمود)) : نفس الشيء باللغة العربية !

(٧) صعودا مع النهر

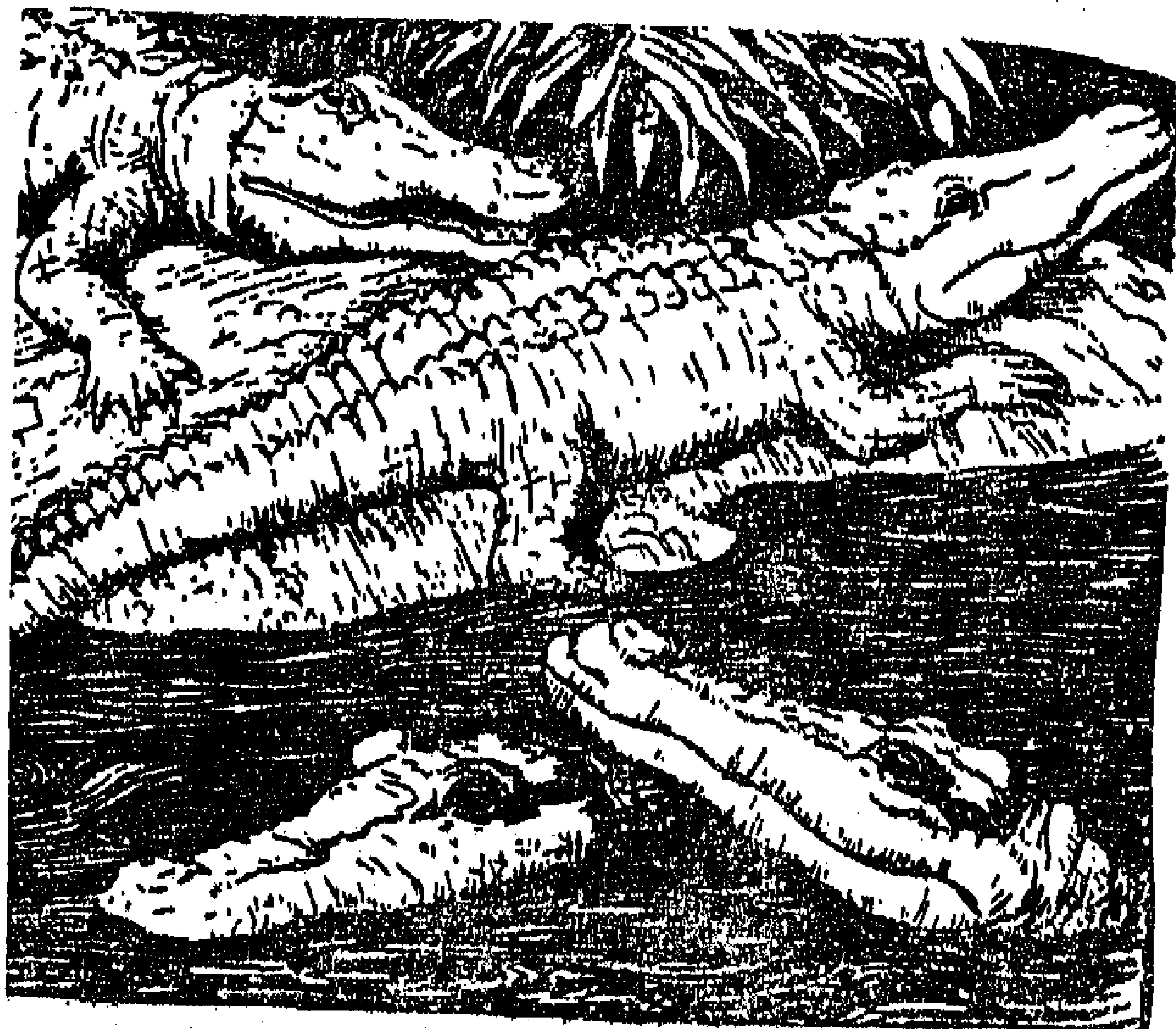
كانت الريح تهب نحـــو الأرض من البحـــر .. ورفعنا الشراع وسرنا ساعات بحذاء الشاطىء وبسرعة طيبة .. ورأينـــا عـــددا من التماســـيح راقدة فوق الشاطىء أو تطل عيونها فوق المـــاء ..

وفى منتصف النهار هبطت الريح وأصبح الجـــو

شــديد الحرارة ، وذهبنا نستظل ببعض الأشــجار ورقدنا حتى غربت الشمس ثم جدفنــا امامنا حتى وصلنا الى بعض من المــاء المكشوف فى بحيرة صغيرة ، حيث نوينا أن نبقى الليل .. وعند الغروب جاءت بعض الظبيان المــائية تشرب من النهر .. ولم نكن نعلم كم طالت رحلتنا او حتى متى سيبقى لدينــا من طعام وبذلك اخذ « ليو » بندقيتــه ورايته واقفــا ببندقيته فى مواجهة السماء . وفى المقدمة لمحت ظبى المــاء مطأطئا راسه يشرب .. ! وفى الغرب كانت كرة الشمس الغاربــة الحمراء والســماء ممتلئة باسراب البط البرى عائدة الى أوطانها خلال الضوء الذهبى ؛ وكل شيء فيما حولنا عبارة عن مياه هادئة وحشائش طويلة .. وكنا ثلاثة من الانجليز فى قارب انجليزى .. وبدونا غرباء عن المكان .. ! وانطلقت الرصــاصة !! وقفز الظبى قفزة عظيمة !! ..

لقد اخطأ « ليو » مرماه . ثم انطلقت رصاصة ثانية !! .. وكانت هذه طلقتى أنا ..

قال « ليو » : طلقة رائعة ! وكانت طلقتى خائبة !



التماسيح ..

وخرجنــا من المركب واخذنا من اللحم قــدر ما استطعنا حمله ثم جذفنا حوالى ستين ياردة من الشـاطىء وتناولنا وجبة ثم حاولنا أن ننام ولكن النوم كان مستحيــلا .. انقضت علينــا ملايين الحشرات هبطت علينا كأنها سحابات وانهالت علينا لســعا من خلال الملابس .. وغطينا وجوهنا ولكنها استمرت تلسعنا من خلال الأغطية !

ومضت الساعات فى هدوء ثم سمعت صــوت اسد يمزق الصمت العميق ثم صوت اسد آخر ..

قال ((ليو)) : إنا سعيد لأننا لسنا على الأرض !

وبعد وقت طويل طلع القمر وسمعت ((جوب)) يهمس :

ــ أوه .. يا للحظ ! .. انظر هناك ! ..

كان هناك أسدان جذبتهما نحونا رائحة اللحم الطازج فجاءا يسبحان نحونا وعلى بعد خمســة عشر قدما كان يقع الشاطىء الرملى ، وكان عمق المــاء فوقه يتجاوز بوصات فقط . جاء الأســد الأول الى



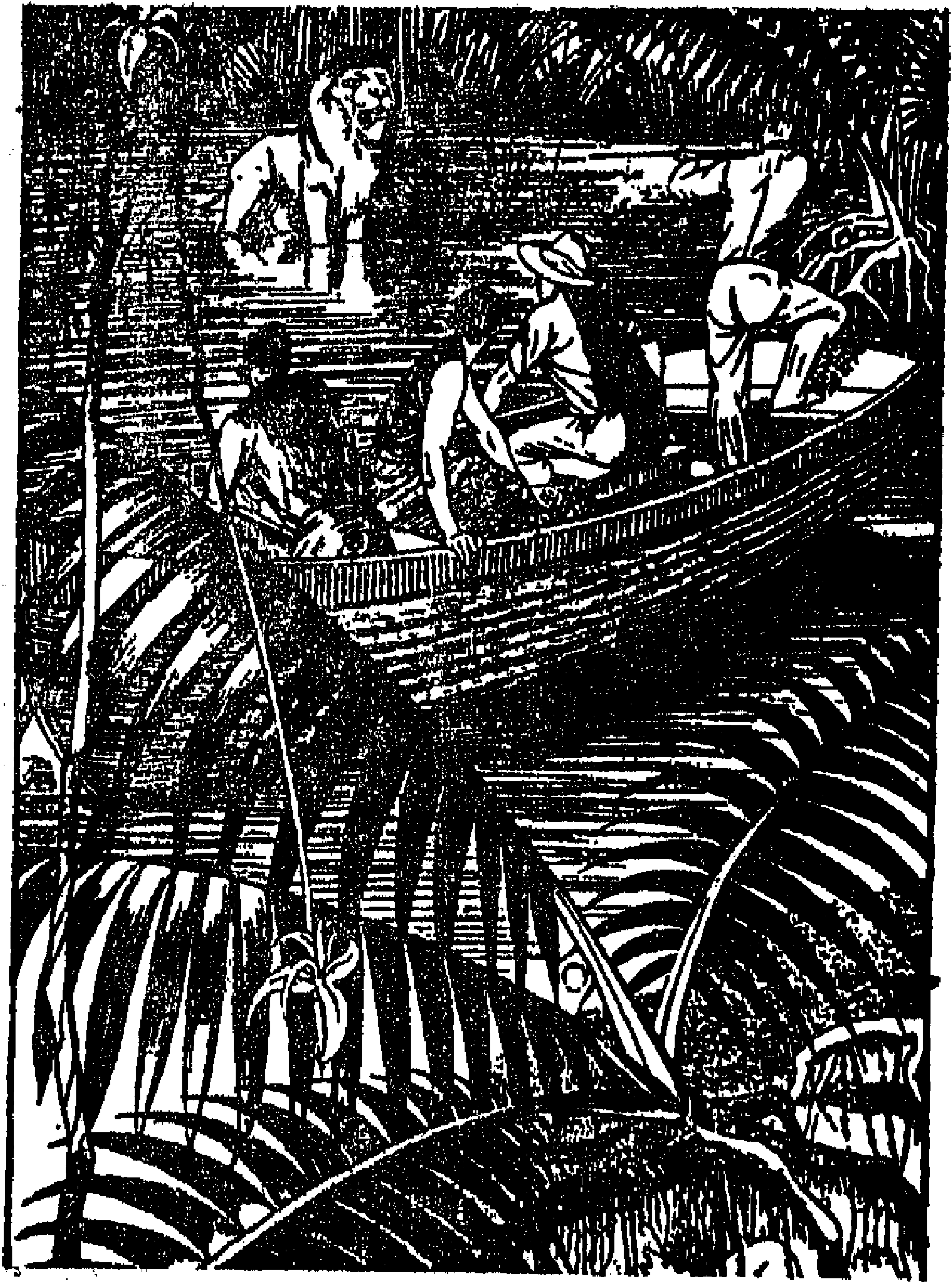
الظبى ••

الشاطىء الرملى ووقف واطلق عليه « ليو » النار وسقط الأسد فى الماء ميتا ! .. وكان الأسد الثانى وراءه مباشرة وفجاة نشب صراع عنيف .. انجذب الأسد الثانى الى الوراء غائصا فى الماء .

وصرخ « **محمود قائلا** » : انظر ! لقد قبض تمساح على رجله !

ومضى الصراع ناشبا بينهما وبدا الأسد فجأة كأنه يجذب التمساح الى البر ليسقط من جديد .. واخيرا سقط راس الأسد الى الأمام ورايناه ينجذب فى الماء وكان الصمت تاما اللهم الا طنين الملايين من اصوات الحشرات .

وفى خامس أيام رحلتنا ذهبنا حوالى مائة واربعين ميلا غربا من الساحل . وفى صباح ذلك اليوم انخفضت سرعة الريح العادية حوالى الساعة الحادية عشرة . وبعد التجذيف مسافة قليلة جئنا الى مكان انقسم فيه النهر الى فرعين وخرجنا من القارب وسرنا على اقدامنا بحذاء الشاطىء الشرقى للنهر لنرى



وظهر اسد على الرمال ..

كم عمق المـاء هناك .. وبعد أن سرنا حوالى خمسين ياردة رأينا انه سيكون من المستحيل ان نضع القارب فيه .. أصبح المـاء اقل فأقل حتى هبط عمقـه الى مجرد بوصات قليلة وعلى ذلك عدنا راجعين بحذاء الشاطىء الآخر ، الشاطىء الغربى ..

كان من الواضح ان هذا النهر ليس طبيعيا ولكنه ممر مائى من صنع الانسان . كان شاطئاه عاليين حيث رفعت الأرض من مكانها اثناء الحفر ومضى الشاطئان فى خط واحد مستقيم نحو غاية معروفة . وبدا المـاء فيه كأنه لا يتحرك البتة وكان النبات فيه شـديد الكثافـة ..

قال « ليو » : اظن أن هذا النهر المـائى قد حفر لجلب السفن الى مدينة داخلية قديمة ..

قـلت : يجب أن نذهب الى هناك أو أن نعود الى البحر اذ لا يمكننا أن نبقى هنا حيث نحن فتأكلنا الحشرات !

انتظرنا حتى انخفضت الشمس ولم تكن هنالك ريح وظللنا نجذف فى الساعة الأولى ، فكان عملا عظيم المشقة . ثم أصبحت النباتات شديدة الكثافة حتى اضطر اثنان منا أن يخرجا فيدفعا القارب بينما بقى الثالث يتولى زمامه وجلس الرابع فى المقدمة .ودفع بالنباتات بعيدا ,وهى تتكوم امام مقدمة القارب ..

لن اصف الأيام الأربعة التالية من رحلتنا . كانت اشقى الأيام فى حياتى وكانت اياما لا تنتهى من العمل والحرارة .والحشرات ..

وفى اليوم الثالث رأينا ، على مبعدة ، تلا مستديرا لا يكاد يظهر لشدة بعده .. وفى الليلة الرابعة بدا هذا التل انه على بعد ثلاثين ميلا منا ..

كنا الآن قد انتهينا وكانت أيدينا قد تشققت وغطتها الدماء . وشعرنا اننا لا نستطيع أن نجذب القارب ياردة أخرى وان أفضل شىء هو أن نرقد ونموت هناك فى هذه الفيافى المائية .. وعندما القيت بنفسى

فى القارب لعنت حماقتى لانضمامى هكذا الى رحـلة مجنونة بهذا الشكل يمكن أن تنتهى بموتنا جميعا . وعندما نمت حلمت بالقارب وبما سيكون عليه شكله فى ثلاثة اشهر من الآن : نصفه ممتلىء بمياه كريهـة الرائحة ترقد فيه جثث متآكلة لأربعتنا .. وبدوت انى ارى جثة محمود هناك امامى بعينيها المفتحتين تنظران الى دوما كما لو كنت وحدى الذى يلام .. !

استيقظت اهتز من الخوف على اثر هـذا الحلم الفظيع . وعندئذ رايت شيئا لم يكن حلما . عينان كبيرتان كانتا تنظران نحوى من خلال الظلام . وقفت وصرخت ثانيـة وثانيـة بحيث قفز الآخرون واقفين وجلسوا هناك يهتزون من الخوف الشديد وما زالوا نصف نائمين .

رايت ضوء القمر يضىء راس حربه مصوبه الى قلبى !

قال الرجل بالعربيـة : من انتم ايها الرجـال

الذين جاءوا سابحين فى المـاء .. تكلموا .. تكلموا والا كنتم من الموتى ؟ !

ولكنها كانت لغة عربية من نوع خاص لم أكـد افهمها ..

قلت بافضل ما لدى من عربية : نحن رحالة ! جئنا هنا بالمصادفة !

ادار الرجل راسه ، وسـال رجـلا طويلا جدا واقفا خلفه : يا أبى .. هل نقتلهم .. ؟ !

(٨) شعب الأحجار

سأل حامل الرمح : يا أبي .. هل نقتلهم ؟

ـ من هم ؟

ـ ثلاثة رجال بيض وواحد أسمر البشرة !

قال الرجل طويل القامة : لا تقتل .. منذ أربعة أيام كلمتني تلك التي ينبغي أن تطاع وقالت اذا جاء

رجال بيض فلا تقتلوهم .. هاتوهم الى هـذا المنزل واجلبوا كل الأشياء التى معهم !

قال الرجل حامل الرمح : تعالوا .. تعالوا !

وسحبونا من القارب . وعلى الشاطىء كانت هناك جماعة من حوالى خمسين رجلا .. وكلهم يحملون حرابا طويلة وكانوا طوالا جدا وكانوا أقوياء . وكان جلدهم فاتح اللون ولم يكن على أبدانهم ملابس ، مجرد جلد اسد فى الوسط ..

قال الرجل الطويل القامة : احضروا المقاعد !

وجاء الرجال جارين نحونا بالمقاعد . وكان كل مقعد يحمله اربعة رجال وكان هناك رجلان اثنان آخران حتى يتم تناوب العمل ..

قال « ليو » : حسنا .. من الأفضل ان يجد المرء أناسا ليحملونا بعد أن حملنا انفسنا هذه المسافة الطويلة ..

بدأ « ليو » وكأنه يأخذ دائما الجانب الحسن من الأمور . .

وما ان جلسنا فى المقاعد حتى بدأ الحمالون . . وارتفعت عقائرهم بالغناء عندما بدأت اقـدامهم المشى وسريعا ما دفعتنى الحركة والغناء الى النوم .

وعنـدما استيقظت كانت الشـمس عاليـة فى السماء . وكنا ما نزال نرحل بسرعة حوالى اربعـة اميـال فى السـاعة . . كنـا قد خرجنـا من الأراضى المنخفضة . وكنـا نتحرك فوق واد يتجـه الى تـل بعيـد !

نظرت الى الرجال الذين كانوا يحملوننا . كانوا رجالا حسنى المظهر ذوى جمـال على نحو ما ولكن وجوههم كانت مليئة بالشر . لم يبتسموا ابدا . ولم يضحكوا ابدا . واحيانا كانوا ينشدون بعض الأغنيات ولكنهم يظلون صـامتين عندما لا يغنون . ولأمر ما ملأني منظرهم خوفا .

كنت لا ازال اتساءل من اين اتوا ؟ .. عندما حمل كرسى الى جانب يدى اليمنى وفيه جلس رجل عجوز يرتدى ثوبا أصفر اللون يكاد يشبه ذلك الذى وجدته فى الصندوق الحديدى . قررت انه لابد ان يكون هو الرجل الذى نادوه بالأب . كان رجلا رائع المنظر بذقن بيضاء وعينين وامضتين حليمتين .

قال بصوت خفيض عميق : واذن فانت متيقظ اخيرا أيها الرجل الغريب !

فاجبته بادب بالعربية : نعم يا ابى . صباح الخير عليـك .

ابتسم وقال : لا ادرى من اين اتيتم ولكنها بلد تعرف شيئا عن لغتنا وهم يعلمون الأدب . ولكن لمـاذا جئتم الى هذه البلاد حيث لم يحضر غريب منذ أمد طويل !

اجبت : لقد جئنا لنجد اشياء جديدة . لقد تعبنا من الأشياء القديمة نحن شعب شجاع لا نخشى

الموت .. اذا استطعنا ان نعلم شيئا جديدا قبل أن نموت !

قال السيد العجوز : حسن . قد يكون هـذا حقا . انى اتوقع ان « تلك التى ينبغى ان تطـاع » ستكون قادرة على تحقيق رغبتكم .

سـألت : من هى تلك ـ التى ـ ينبغى ـ ان تطـاع ؟ !

فضحـك ضحـكة غير سـارة على الاطـلاق ، **وقـال** :

ـ سريعا ما تعرفون هـذا . اذا رغبت « هى » ان تراكم بينما تزالون أحياء .

سألته : ما اسم شعبكم ؟ !

ـ نحن شعب المتحجرين .. شعب الصخور .. !

ـ هل لى ان أسألك عن اسمك ؟ !

ـ اسمي بلال .

ـ واين نحن ذاهبون ؟ .

ـ سنرى !

واخبر رجـاله ان يحملوه اماما الى حيث كان « جوب » جالسا فى كرسيه بقدم مدلاة من ناحيـة جانب المقعد ..

(٩) الراحة فى الكهف

نمت ثانيـــة ، وعنـــدما كنا نمر بين الحـــائطين الصخريين استدرنا حول ركن وظهر امـــامى منظر جميل . رايت واديا كبيرا عرضـــه يبلغ حوالى خمسة اميال . وكانت الجوانب صخرية بأعشاب تنمو عليها ، ولكن المركـــز فيه كان الحشـــيش الفنى الأخضر مع اشجار رائعة قائمة هنا وهناك ومجار قليلة تسرى

عبرها . وفوق هذا الوادى الغنى رأيت أبقارا كثيرة وحيوانات أخرى . كان هنـاك رجـال يتحركون بين الحيوانات ولكنى لم أر علامات تدل على مساكن .. أين يعيش هؤلاء الناس ؟ !

درنا نحو اليسار وذهبنا بحذاء جانب الوادى لمسافة نصف ميل ثم وقفنا .. نزل الرجل العجوز « بلال » من كرسيه وفعلت مثـله وعند ذلك رايت « محمود » المسكين نائما على الأرض لم يعط كرسـيا ولكنه أجبر على الجرى حول الطريق كنا توقفنا على ارض مستوية امام فوهة الكهف . وضعت كل الأشياء التى جلبت وحول المكان وقف الرجـال الذين حملونا ورجال آخرون من نفس الطراز . وكان هنـاك ايضا بعض النساء . ولم يكن يرتدين جلود الأسود مثل الرجال ولكن جلود الظباء وارتدى بعضهن قماشـا اصفر مثل ذلك الذى وجدناه فى الصندوق .. ذلك اللون الأصفر كان علامـة المركز . اكتشـفت هـذا فيما بعد ..

عندما نزل « ليو » من كرسـيه أبدى النـاس

اهتمامهم الكبير وخاصة عندما خلع قبعته ورأوا شعره الأصفر .

وبين الجمهور كانت هناك امرأة ذات تقاطيع بالغة الروعة .. وكانت مرتدية ثوبا أخضر .. كان جلدها ذهبيا فاتحا وشعرها بنيا . نظرت الى « ليو » بحرص من راسه الى قدمه وبعد أن قامت بهذه الدراسة الحريصة الدقيقة تقدمت الى الأمام ووضعت ذراعها حول رقبة « ليو » وقبلت يده .

توقعت إن يندفع الرجال على « ليو » ويطعنونه بالحراب .

قال ((جوب)) : يا لها من امرأة لا تخجل !

بدا «ليو » مندهشا بعض الشيء وظن أنها عادة « غريبة » من عادات البلاد فرد التحية بمثلها .

ومرة ثانية توقعت حدوث شيء . بدت بعض النساء الصغيرات الشابات على شيء من الغضب ، وابتسمت بعض النساء الكبيرات . وبعد ذلك علمت

وفهمت معنى ذلك بين افراد شعب المتحجرين النساء والرجال على السواء فالنساء والرجال هنا سواسية والنساء تختار أزواجهن بتحيتهم على هذا النحو واذا رد الرجال بهذه الطريقة فان هذا معناه انهم يوافقون .

اسم هذه المراة الشابة هو « أوستين » وهكذا فان « أوستين » قد اختارت « ليو » زوجا لها وكما بدا لها أن « ليو » قد وافق .

رايت امراة لم تكن شابة بعد تحركت نحو « جوب » . وكان « جوب » يبدو خائفا ولكن « بلال » تقدم حينئذ وقادنا الى الكهف . وكان الكهف يبدو طوله نحو مائة قدم وخمسين قدما عرضا . تمر منه ممرات عديدة . وكان واضحا أنه لم يكن كهفا طبيعيا ولكنه بني بيد انسان .

كانت تشتعل فى وسطه نار كبيرة تلقى اشباحا عريضة على الجدران والسقف . وقادنا « بلال » الى النار وجعلنا نجلس على جلود هناك جاهزة لنا .

وجلبت فتيات صغيرات الطعام لنا ـ لحما وقمحا ولبنا . وكنا فى شدة الجوع وبعد الوجبة **وقف** **« بلال » وتكلم :**

ـ هذا شىء جميل هذا الذى حدث . لم يأت أبدا غريب أبيض البشرة الى هذه البلاد قبل الآن . وفى بعض الأحيان جاء أفراد فليلون آخرون الى هنا . ولكنهم جميعا قتلوا . لقد راوكم تجذبون قاربكم على طول الطريق العتيق وأمرت أن يتم قتلكم ولكن رسالة جاءت منها **« هى » !**

فسألت : هى ؟ !

الاسم الكامل هو : « هى ـ التى يجب ان تطاع » ولكن اسمها الصغير : « هى » يجب ان أذهب الآن لأعرف المزيد من أوامرها !

وسألت : وكم من الوقت ستبقى بعيدا ؟ !

ـ سأعود فى اليوم الخامس !

ـ واذن فهى تعيش على مسافة تزيد قليلا على يومين من هنا .. ولكن كيف عرفت بوجودنا هنا ؟

ابتسم « بلال » ونظر حوله ليرى ان ليس هناك احد من الآخرين قربنا ثم قال بهدوء : أليس من احد في بلادكم يستطيع ان يرى بدون عيون ويسمع بلا اذان ؟ لا تلق على اسئلة .. انها تعرف !

ومضى قائلا : سأعود في اليوم الخامس .. وسيفعلون كل شيء من اجل راحتكم بينما انا غائب . وآمل ان تفكر بعطف في شانكم وسأتحدث انا مدافعا عنكم لأنني احبكم . ولكنني لا اعطيكم الا قليلا من الأمل كل اجنبي جاء هنا الى هـذه البلاد اثناء حياتي واثناء حياة ابي وجدي وجد جدي قد قتل . قتلوا جميعا على نحو كريه بغيض لن أصفه وهي التي كانت دائما تعطى الأمر بقتلهم .. او تأذن بذلك .

قلت : لست افهم ... انت رجل كبير مسن .. كيف تستطيع هي ان تعطي الأمر بأن يقتل رجل واحد ، في وقت جد جدك ؟

وابتسم « بلال » من جديد ثانية .. ومضى بعيدا دون ان يتفوه بأية اجابة .

(١٠) الأيام الأربعة الأولى

عينوا لنا رجلا دميم الخلقة فى الأربعين من عمره وليا على أمرنا وانبأته أننا نريد أن نستحم وقادنا الى مجرى مائى . وعندما عدنا كانت الشمس قد غربت وكان الكهف مليئا بالناس يجلسون حول النار ويأكلون وجبتهم المسائية .

كانوا يأكلون فى صمت مهيب .. جلسنا واخذنا نراقبهم بعض الوقت ولكنــه لم يكن منظرا مبهجــا ولهذا قلت لحارسنا الجديد :

ـ نحب ان نذهب لفراشنا .

ودون ان ينطق كلمة اخذ مصباحا وقادنى الى واحد من الممرات الصغيرة الخارجة من الكهف . وبعد ان ذهبنا حوالى خمس ياردات انفتح الممر الى داخل غرفة صغيرة . وفى ناحية من الحجرة كان رف حجرى طوله ستة اقدام وعرضــه قدمان اوثلاثة . واباننى ان على ان انــام هنا . ولم تكن هناك نافذة أو ثغرة ولا منضدة ولا كرسى ولا شىء ! وبدا لى المكان كأنه يستخدم لراحة الموتى أكثر منه للأحياء .. ثم اكتشفت بعد ذلك إننى كنت على صــواب . ولكن كان على أن انــام فى مكان ما . وعلى ذلك عدت الى الكهف لأجد الحقيبة التى تضم أشيائى . هناك قابلت « جوب » الذى اقتيد الى غرفة اخرى من نفس النوع ، ولكنه قال لى :

ــ انه قبر يا سيدى .. مجرد قبر لجثة رجل ميت . لا استطيع أن انام هنا وحدى . هل أستطيع أن آتى معك .. لمجرد الصحبة يا سيدى ؟

وفى الصباح سمعنا صوت الطبل .. فقمنا .. وذهبنا الى الجدول واغتسلنا . وبعد ذلك جلبوا لنا الطعام .. وعندما جلسنا الى الافطار جاءت احدى النساء الى « جوب » وحاولت أن تقبله .. وكان « جوب » شديد الغضب **فصرخ فى وجهها** :

ــ اذهبى ! اذهبى ! صدقنى يا سيدى لم أرها قبل الآن على الاطلاق .. أوه !! يالله انها آتية نحوى من جديد . امسكها بعيدا يا مستر « هوللى »
واستدار هاربا !

رأيت بعضا من شعب الأحجار يضحكون .. ولكن النساء وقفن هناك وكن ينتفضن غضبا ، ووددت لو كان « جوب » اقل حرصا من ذلك على اسمه الطيب .. واكثر حرصا على مشاعر السيدة !

خشيت ان يضعنا هذا فى موضع الخطر . والواقع ان ذلك قد حدث بالفعل !

قلت للرجال : ان الرجل متزوج .. وزوجته امرأة شرسة . انها تجعل حياته بائسة .. هذا هو السبب فى أنه يخشى النساء جميعا .. !

استمعوا الى فى صمت وكان واضحا ان طريقة « جوب » فى استقبال السيدة قد مست كرامتهم ، وكانوا غاضبين لهذا ..

وبعد الافطار راقبنا الناس يعملون فى الحقول .. جاءت معنا صديقة « ليو » واسمها « أوستين » وجلسنا الى جوار المجرى وسألت « أوستين » عن شعبها فأجابت :

ـ لا ادرى ولكن هناك خرائب كثيرة لمدينة قديمة قرب المكان الذى تعيش فيه « هى » .. المدينة نفسها كان اسمها « كور » . لا احد يجرؤ ان يقترب

من تلك الخرائب ، ان ارواح رجال موتى تعيش فيها . وهنـــاك خرائب اخرى فى اجزاء اخرى من البـــلاد حيثمـــا كانت الأرض مرتفعة .. هنـــاك أيضـــا كهوف منحوتة فى الصخر نحتها رجال عاشوا فى المدن .

ســالت : هل لديكم أى قانون ؟

ـ هناك عادات شعبنا ، كمـــا أن هؤلاء الذين يرتكبون خطأ يقتلون !

ـ كيف ؟

ابتسمت وقالت : قد ترى هــذا فى يوم قريب !

ـ هل لديكم اى حاكم ؟

قــالت : نعم . هى ملكتنا .. ولكننا قليلا جدا ما نراها . مرة واحدة فقط كل سنتين أو كل ثلاث عندما تأمر بموت بعض الناس !

ـ كيف يبدو شكلها ؟

ـ لبست أدرى ، انهـا دائمـا مفطـاة بحيث لا يستطيع احد ان يرى وجهها . يقال انها جميلة جدا ، وأنها تعيش الى الأبد وأن لها قوة على كل الأشـياء .

وهكذا مرت اربعة أيام قبل ان تبدأ الأشياء فى الحدوث . سرنا على اقدامنا وساءلت « أوستين » والآخرين ، وبدأنا نتحصل على صورة لهذا الشـعب الذى لم يزره رجل غريب منذ مئات السنين . وبدا أن هـذا البلد مقطوع تماما عن العـالم الخارجى . لا يستطيع احد أن يعبر هذه الأراضى الواطئة الا اذا عرف الطريق وكل هؤلاء الذين حاولوا قتلتهم الملاريا أو قتلهم الجوع أو الغرق .

كان « ليو » يشعر بمزيد من السعادة اذ يرى جزءا من القصـة يثبت أنه واقعى . ومن الواضح أن « جوب » لم يعرف كيف يفكر . كان يستطيع فقط أن يتساءل ويتعجب فقط .

وبدا أن « محمود » العربى كان جد خائفا . كان شعب الأحجار مؤدبين حياله ولكنهم كانوا شديدى البرودة . ولم أستطع أن أعرف ماذا أخافه .

قــال : ان هؤلاء الناس شياطين !

وكان هذا هو جوابه الوحيد ..

وفى ليلة اليوم الرابع حدث شيء ..

(١١) معركة فى الكهف

كانت هى الليلة الرابعة . وكنا ثلاثتنا و «أوستين » جالسين حول النار ، ثم بدأت « أوستين » تغنى بصوت خفيض . لم إستطع أن التقط كل الكلمات . بدا أنها نوع من أغانى الحب .

ثم سمعت شيئًا كالخوف فى صوتها :

« هى التى أقوى قد أخذته .. هى التى أجمل منى .. وأنت استدرت وناديتنى فى الظلام ولكن » ..

وتوقف صوتها . كانت عيناها ثابتتين على شىء فى الظلام !

أشارت اليه ولكننا لم نر شيئا .

سأل « ليو » : ما الأمر يا « أوستين »

ـ انه لا شىء . لماذا أخفيك ! انى فقط أسألك أن تفكر فى شأنى عندما أكون قد ذهبت ..

وفى صباح اليوم التالى جاء حارسنا واخبرنى أن حفلا سيقام تكريما لنا . وعندما سمعت « أوستين » هذا رأيت على وجهها نظرات رعب . أمسكت بذراعه وكلمته ولكنه أجابها بجفاف وكان واضحا أنها لم تكن سعيدة بذلك . حاولت أن أعتذر فقلت : نحن اناس هادئون ولا نحب الحفلات !

ولكنها استقبلت كلامى فى صمت ..

أخبروني قبيل الغروب أن كل شيء جاهز . كانت هناك نار كبيرة في الكهف .. وكان هناك خمسة وثلاثون رجلا وامرأتان يجلسون حولها .. كانت المرأتان هما « أوستين » والمرأة التي جاءت الى « جوب » . وبين الرجال كان « محمود » ..

قال « جوب » : انظر .. هذه امرأتي تتحدث الى « محمود » .. أنا سعيد لأنها لا تتحدث معي انا !

نهضت المرأة وكانت تقود « محمود » خارجة من الركن حيث كان جالسا وكان « محمود » في حالة خوف هائل .

قلت : لا يروق لي هذا المنظر هل معك مسدسك يا « جوب » ؟

كان « جوب » معه مسدسه وكان معي مسدس ايضا . ولكن « ليو » كان معه سكين فقط .

جلس الرجال هناك في صمت تام يمررون اناء

من الشراب القوى فيما بينهم .. ولم تكن هنـاك اية اشارة الى الطعـام .. ولكن كان هنـاك وعـاء حديدى كبير فى النار وقضيبان طويلان لرفعه .

وبعد وقت بدأوا يغنون . **غنى القائد** :

أين اللحم الذى سنأكله ؟

اجاب الاخرون : الطعام سياتى !

غنى القائد : كيف سيأتى اللحم ؟

غنى الآخرون : سنقتله !

هل اللحى مستعد للطهى ؟

هل القدر ساخن لطهى الطعام ؟

انه ساخن ! انه ساخن !

قال ((ليو)) : انى أقول يا ((هوللى)) .. تذكر الكتابة فى الصـــندوق .. انها **قالت** : الرجال الذين يضعون القدور على رءوس الأجانب ..

واذ قال هــذا قفز رجلان وانتزعا القدر من

فوق النار .. وفى نفس اللحظة اخذت المرأة التى كانت جالسة بجوار « محمود » حبلا من تحت ثوبها ووضعته فوق كتفه . كان الرجلان يحملان القدر الى المكان الذى كان يصارع فيه « محمود » وكانا يقصدان ان يضعا القدر المحمر من السخونة على راسه ! .. لقد اعدت المرأة هذا كانتقام مما فعل « جوب » .

قفزت انا واطلقت النار على هذه المرأة الشريرة التى كانت ممسكة بالقدر بين ذراعيها وسقطت بينما يقفز « محمود » عاليا فى الهواء ، ثم سقط ميتا الى جوارها . لقد مرقت طلقتى ، التى اطلقتها من مكان قريب بهذا الشكل ، خلال الجثتين !

امسك رجل جالس قربنا بحربته ..

صرخت : اجر .. !

وكان هناك شرذمة من الرجال فى مدخل الكهف .. وعلى ذلك جريت داخلا الكهف . واذ قفزت فوق جثة « محمود » احسست بحرارة القدر عند

قدمى . وفى نهاية الكهف كان يوجد رف يرتفع ثلاثة اقدام وعمقه ثمانية اقـدام . ووصلنا اليه جميعنـا وقفزنا فوقه على استعداد لنحارب حتى النهاية .

وتوقفت الزمرة لحظة عندما راونا نواجههم . ونظرنا نحن الى صفهم الطويل من الأشباح التى تنتهى فى النـار وكنـا نستطيع أن نرى القـدر المحمرة من السخونة وهى تلتمع فى ذلك المكان شـبه المظلم .

كان « ليو » ممسـكا بمطواتـه فى يده اليمنى **وقـال :**

ـ وداعا يا « هوللى » .. لا فرصة لنا بازاء كل هؤلاء الناس الذين سيقضون علينا فى دقائق ويأكلوننا بعد ذلك .. اغفرلى انى أتيت بك الى هنا .. وداعـا يا « جوب » .. !

رفع « جوب » مسدسـة وأطلقـه ثم وقع **الاندفاع ..**

قفز رجـل ضخم الى الرف الصخرى وغرس « ليو » سكينه فيه وعندما فرغ مسدسى استخدمت

المطواة ولا أدرى ماذا حدث « لجوب » .. أظن أنه رقد ساكنا وتظاهر بالموت . ضربت رجـلا بعنف شـديد بسكينى ولمـا سقط جذبت السكين منه . وقفز على رجلان . وضعت يدا حول كل منهما وسقطنا جميعـا على أرض الكهف معا ، بعضنا فوق بعض . كانوا رجالا أقوياء ولكنى كنت كالمجنون فى غضبى وكنت أشـعر بعظامهما تتحطم وأنا أهصرهما وشعرت بهما يتوقفان عن الصراع ولكنى لم أجرؤ على تركهما .

أدرت رأسى ورأيت أن « ليو » قد غادر الرف الصخرى أيضـا . كان فى وسط جمع يتصارع . ورأيت وجهه الجميل وتاجـه من الشـعر الذهبى ، عاليا فوق رءوسهم .. كان يحـارب بقوة تروعـك رؤيتها . ثم فقد كمينه وظننت النهاية آتية .. ولكنه هرب وأمسك بجثة الرجل الذى طعنه توا ، ورفعهـا عاليا فى الهواء وقذفها نحو الطغمة فهوت بخمسـة أو ستة منهم الى الأرض .. ولكنهم ، فى دقيقـة واحدة ، وقفوا ثانية فيما عدا واحدا . عادوا اليه ثانية ، كلهم وفى صمت !! وسقط تحت وزنهم كأنـه

شجرة هاوية . امسكوا بذراعيه ورجليه .....

صاح صوت : هاتوا رمحا !! رمحا لأقتله وقدرا لأمسك بدمائه !!

وأغلقت عينى وسمعت صوت الصراع . وعندما نظرت من جديد كانت المرأة « اوستين » قد القت بنفسها فوق « ليو » تحميه بجسمها حاولوا ان يجذبوها بعيدا ولكنها وضعت ذراعيها حول عنقه ورجليها حول رجليه وامسكت به .

صاح صوت : اطعن الرجل بالحربة هو والمرأة وهكذا سيجمع بينهما الموت !

ورأيت رجلا ومعه حربة يستعدل قامته ويرفع ذراعه ورأيت وميض النار فوق الحربة ..

وأغلقت عينى .. واذ فعلت هذا سمعت صوتا **يصرخ قائلا** : قف !

وهبط الظلام على عقلى ولم اعرف شيئا بعد هذا ..

(١٢) بعد المعـركة

عندما فتحت عينى ثانية كنت راقدا على الجلد غير بعيد من النار . وقريبا منى رقد « ليو » وكانت عيناه لا تزالان مقفولتين وجلست « أوستين » بجواره تغسل جرحا بجانبه .

وكان « جوب » واقفا خلفه يرتعش ولكن دون

أذى أصابه . وفي الجانب الآخر من النار كانت جثث هؤلاء الذين قتلناهم في عراكنا الفظيع من أجل الحياة . عددتهم فكانوا اثنى عشر بخلاف المرأة وجثة « محمود » المسكين .. والى اليسار كان عدد من الرجال يحرسون جثث هؤلاء الذين هاجمونا والذين بقوا أحياء ، وعلى مقربة منهم كان « بلال » يشرف على عمل تثبيت أذرع السجناء من خلفهم . رآني جالسا فجاء نحوى **وقال** :

ـ ارجو ان تكون افضل الآن !

ـ اشكرك ايها الأب لانقاذك ارواحنا ! فقد كان هؤلاء الأوغاد الشياطين يستطيعون ان يقتلونا كما قتلوا خادمنا ..

ـ سننتقم لخادمكم وسيذهبون اليها « هي » وسيتمنون أن لم تلدهم أمهاتهم قل لي ماذا حدث ..؟

فأنبأته بكل شيء .

قال : يجب ان تفهم ان هناك عادة ان اى

اجنبى يأتى الى هـذا البلد سيقتل بالقدر .. أنا شخصيا أعتقد أنها عادة سيئة شريرة وهى ـ التى ينبغى ـ أن تطـاع قد بعثت أوامر بأنك لن تقتل . هؤلاء السجناء سيتمنون لو أنهم هم ايضا قد قتلوا فى القتال ..

ومضى فقال : ولكن هل تعلم أيها « السمدان » الطويل الذراع أنك انت قد حطمت عظـام هـذين الرجلين الاثنين كمـا يحطم رجـل قشر بيضـة . واما الشاب ، هذا الأسد فقد كان من الجميل أن يراه المرء وهو يقف وحده ضـد هذه الكثرة .. أنت وهو قد جعلتمانى صديقكما بهذه المعركة الباسلة !

ثم سألنى عن مسدساتنا ، كيف قتلت رجـالا على مبعدة . ولكنى كنت متعبا الى حد بعيد ..

فتح « ليو » عينيه وحمله « جوب » بمساعدة « أوستين » الى السرير .. وذهبت أنا الى الغرفـة الصغيرة . وعندما جاء الصباح لم أشعر بأنى بصحة

جيدة تسمح لى بالاستيقاظ . وعندما جاء « بلال » تظاهرت بأنى مستغرق فى النوم . ووقف ناظرا الى .

وسمعته يقول لنفسه : انى احب هذا « السمدان » وارجو الا تفعل « هى » شيئا من السحر عليه .

وفتحت عينى وقلت : صباح الخير ايها الأب !

ـ لقد جئت فقط لأرى كيف صحتك . لقد امرتنى « هى » ان آتى بك مباشرة ولكنى لا اظن انك يمكنك ان تتحرك .

قلت : ليس بعد ولكنى اتوسل اليك ان تجعلهم ينقلونى الى مكان فيه اشعة الشمس .. انا لا احب هذا المكان على الاطلاق !

قال : نعم نعم .. انه مكان مقبض حزين وعندما كنت صبيا وجدت فيه جثة امراة جميلة راقدة حيث ترقد انت .. واعتدت ان اجىء وان انظر اليها

هنا .. وبدت كأنها ما تزال حيـــة ولو انها كانت باردة فقط . كان جلدها أبيض وشعرها أصفر طويلا يكاد يصـــل الى قدميها . وقعت فى حبهـــا تقريبا .. ثم اكتشفت امى ذات يـوم أين أذهب ، فأوقفت المرأة الميتة الى الجائط واخذت مصباحا واشعلت النار فى شــعرها واشــتعلت الجثــة كلها وذابت كأنهـــا من الشمع .. ! ان هؤلاء المحفوظين من التداعى يحترقون دائما بهذه الطريقة .. انظر ! .. هناك على السقف يمكن أن ترى آثار الحريق .. !

نظرت الى أعلى .. وكانت هناك علامة سوداء عرضها ثلاثة أقدام ..

قـال : عندما عدت كان كل شىء قـــد احترق ما عدا القدمين . اخفيت قـــدما منهما تحت الرف الصخرى . ربما كانت ما تزال هناك !

ووضع يده تحت الرف الصخرى حيث كنت أرقـــد ..

ـ هـاك !

قالها ووضع شيئا فى يدى . وكان ذلك قدما ! ربما اخف وزنا مما لو كانت حية ولكنهـا محفوظة جيدا من حيث الشكل واللون ! .. ترى .. كم دبت هذه القدم على الأرض عندما كانت صاحبتها حية .. يا للقدم البائسة الحظ !

(١٣) الرحلة الى كور

واحضروا لنا خمسة مقاعد نقالة . وكان هناك حرس من خمسين رجلا ليذهبوا معنا ..

سألت « بلال » : هل ستأتي « أوستين » معنا ؟

قال : اذا ارادت .. انها ، بحكم قوانيننا

زوجته . انها فتـاة شجاعة وهى تحب الأسـد ، وانقذت حياته . ومن حقها أن تذهب حيث يذهب هو الا .. اذا قالت (هى) لا !!!

ونزلنا الى جانب التل ، ثم صعدنا الناحيـة الاخرى ، حيث كانت هناك ارض مديدة من الحشائش الخضراء تهبط بوداعة الى حيث رايت المزيـد من الأراضى الواطئة .. وعبرناها ، ثم جئنا الى طرف الأراضى المشبعة بالمـاء وهنـاك استرحنا قليـلا ثم مضينا . كانت اسـوا من الأرض التى عبرناها فى قاربنا وكانت رائحة العفن حولنا فى كل مكان وتتحرك فيها ثعـابين مائيـة سوداء بسرعـة كبيرة . وكانت الأصوات الوحيدة هى أصوات الضفادع العاليـة . وهى اكبر ضفادع رايتها فى حياتى وفوقنا صرخات الطيور الهائمة فى السماء ..

وصلنا عند الغروب الى قطعة الأرض الصلبة ؛ وكانت عبارة عن جزيرة صغيرة تقف وحيدة فى الأرض المهجورة . وهنـاك انفقنا الليل واقفين أو راقـدين

حول النيران .. ولكن ظلت أصوات الضفادع مدة طويلة هى وعضات الحشرات . واصبح النوم مستحيلا .

نظرت الى « ليو » الذى كان راقدا الى جوارى. وكانت عيناه تلمعان ووجهه أحمر وشفتاه جافتين .. كان مصابا بأزمة مالاريا حادة . وكان جد مريض . وجلست « أوستين » قلقة الى جانبه ..

واخيرا نمت قليلا واستيقظت بينما كانت الشمس تصعد الى كبد السماء . كان « ليو » جالسا ممسكا برأسه بين يديه ..

سألته : كيف تشعر الآن ؟

اجاب بضعف :

ـ انا جد مريض .. اشعر كأننى سأموت !

وكان « جوب » مريضا هو الآخر .. ولكن ليس مثل « ليو » ..

سألت « بلال » : هل يستطيعان أن يذهبا ؟

فأجاب : يجب أن يذهبا ان بقاءهما هنا معناه الموت .. !

وصلنا أخيرا الى جزء خطير جدا .. فقد كان الرجال أمامنا غائصين حتى ركبهم فى الماء . وسار أمامنا مرشدان بعصى طويلة يجربان الأرض وهما يسيران .. ثم سمعت صرخة مفاجئة ثم كثيرا من الصياح ..

كان أحد رجال « بلال » قد وضع قدمه على ثعبان . وسقط الكرسى على الأرض وسقط « بلال » فى الماء وعندما تمكنت من الذهاب الى طرف الماء لم يكن من الممكن رؤية الرجل أو « بلال » .. ولم يمكننا رؤية الرجل حامل الكرسى مرة ثانية واستطعت أن أخمن أين « بلال » لأنى استطعت أن أرى المقعد هناك فى الماء وقطعة القماش التى وضعت فوقه لحمايته من الشمس ولكن « بلال » نفسه لم تمكن رؤيته ..

وصرخ واحد من الرجال: انه هناك .. هناك !

ولكنه لم يفعل شيئا لمعاونته ..

صرخت أنـا : افسحوا الطريق !

وقفزت الى المـاء . واخيرا وصلت الى المكان الذى كان « بلال » يناضل فيه تحت قطعة القماش وخلصته منها ثم جذبته الى الأرض ..

وقف هنـاك والمـاء القـذر يسـيل من فـوق راسـه ..

وقـال : يا للكلاب ! أنتم تركتمونى هنا ، أنـا ابوكم ، لكى اغرق . سأتذكر هذا ! اما أنت يابنى أيها « السعدون » فأنا صديقك الى الأبد .. لقد انقذت حياتى .. وبما ياتى يوم سأنقذ فيه حياتك !!

(١٤) مسكن .. ((هى))

وقبل الغروب جئنا من الأرض المنخفضة الى واد يرتفع الى أعلى فى شكل موجات . ووقفنا الليلة تحت بضعة اشجار . وطول الليل كنت مشغولا بمساعدة « أوستين » على رعاية « ليو » الذى كانت حالته سيئة جدا .. وفى صباح اليوم التالى كانت حالته قد ازدادت سوءا ..

وسريعا بعد شروق الشمس صعدنا الى قمة التل المعشوشب. ورأينا أسفلنا بلدا غنيا بالحشائش والأشجار والأزهار . وعلى بعد مسافة كان هناك جبل مشكل تشكيلا غريبا جدا . كان على قدر ما تمكنت من الرؤية ، مستديرا تماما تقريبا ، وتقاس دائرته بحوالى سبعة أميال ، وصعدت جوانبه مستقيمة من الوادى كأنها جدران ، وقمة هذه الجبال تكاد تضيع فى سحب الصباح المبكر . واذ جلست فى مقعدى ارقب « بلال » الذى قال : هذا هو منزلها هى — التى — يجب أن تطاع !

قلت : انه رائع .. ولكن اعتقد أن تسلق هذه الصخور أمر صعب للغاية !

— انظر الى هذا الممر تحتنا ..

نظرت ورأيت ما بدا أنه نهر أو نهر جاف أو ربما كان ممرا مائيا من صنع الانسان .

وشرح « بلال » : فى وسط حلقة دائرة الصخور كانت ذات مرة بحيرة وكان مركز البحيرة أعلى من

هذا الوادى . والناس الذين بنوا مدينــة « كور » شقوا ثقبا فى قــاع الجبل بحيث تدفقت الميــاه من البحيرة وصنعوا هذه الأراضى المنخفضة الخطيرة التى جئنا عليها . وعندما تدفق المــاء كله من البحيرة تركوا ممرا يستطيع الرجـــال أن ينفذوا فيه الى دائــرة الصخور وبنوا المدينة على جزء من مرقد البحيرة وكان الباقى حقولا لحيواناتهم وأراضى بستانية ..

واخيرا وصلنا الى وجه الحائط الصخرى وجئنا الى فم الفتحة المظلمة فيه .. وكان جزء من هــذه الفتحة يملأه نهر صغير ما لبث أن أدير عن ممرنــا الجاف ليتدفق من ممرنا المــائى الى طريق آخر ، بعد أن تركنا الصخرة . وبخــلاف جانب هذا النهر فى الممر المظلم رأيت طريقا اعلى من النهر ..

انزلت مقاعدنا وجاء « بلال » وأخبرنى أنه يجب تغطية عيوننا حتى لا نعلم اسرار المدخل .. فعلوا بنا هذا ثم بدأنا من جديد .. كان شــعورا غريبا هــذا الذى احســسنا به اذ حملنا داخل قلب الصخرة .

لا نعلم أين نحن ذاهبون . جلست وأنا استمع الى وقع خطوات أقدام الرجال واندفاع المياه . وسريعا ما بدأ الرجال يغنون وبدت أصواتهم غريبة وحزينة وهى ترن بين السقف الصخرى والجدران من حولنا .
وظللنا نستدير الى هذا الطريق وذلك حتى لا أستطيع أن أحتفظ بخريطة فى ذهنى عن الطريق الذى سرنا فيه ..

وبعد نصف ساعة شعرت أننا خرجنا الى الهواء الطلق وبدا الضوء ملتمعا من خلال القماش المربوط فوق عينى . ثم سمعت « بلال » يعطى الأوامر برفع الأغطية عن عيوننا ..

ورأيت أننا كنا الآن داخل جدران الصخر ..

ولم تكن هذه الجدران من الارتفاع كما كانت فى الخارج ذلك لأن مرقد البحيرة كان أعلى من المركز . ونحو مركز الوادى ظننت أنى أرى خرائب واطلالا بينما كان بقيتها مقسما الى حقول وحدائق . ولم

يكن لدى وقت لأرى المزيد من المكان لأن جمهرة من شعب الأحجار قد جاءوا والتفوا حولنا .. وبدوا متشابهين مثل الناس الذين رأيناهم من قبل فى الكهف ..

ثم جاءت نحونا جماعة من الرجال المسلحين يقودهم ضابط يجرون نحونا . وبدوا انهم آتون من وجه الصخرة مثل طوابير النمل الآتية من تلالها . وكان هؤلاء هم جماعتها من الحراس .. وذهب قائد الحرس نحو « بلال » وحياه . ثم دارت الجماعة كلها وسارت على طول جانب الصخرة العالية وتبعهم حاملونا .

وبعد أن سرنا حوالى نصف ميل توقفنا عند مدخل كهف كبير حوالى ستين قدما فى الارتفاع وثمانين قدما عرضا .. وهنا امرنا « بلال » أن ننزل .. ولكن « ليو » طبعا حمل الى الداخل . وكان الجزء الداخلى من الكهف تضيئه المصابيح . وكانت جدرانه مزينة بالصور . وغالبا ما تكون صور الصيد

او الرقص وقلة من صور المعارك . ومن هذه الصور الأخيرة فهمت ان قليلا من الجيوش قد جاءت الى هذه النواحى .تحارب فى هذه البلاد ان كانت قد جاءت على الاطلاق . وكانت هناك كتابات بين الصخور ولكن الحروف فيها كانت مجهولة لدى ..

وقابلنا خادم يرتدى الزى الأبيض وانحنى امامنا ولكنه لم يقل شيئا . وهذا لأنه ، كما علمت بعد ذلك، لم يكن يتكلم او يسمع ..

وكان هناك ممران يخرجان من الكهف الكبير . احد منهما فى كل ناحية . فى الفتحة التى فى الجانب الأيسر كان حراس .. واعتقد أن هذا الممر يؤدى إلى المكان الذى تعيش فيه (هى) .. وأبدى الخادم أنه يجب علينا ان نمر فى الممر الأيمن .. وجئنا الى ستار ، ومن ورائه وجدنا غرفة يتسلل اليها الضوء خلال فتحة محفورة فى وجه الصخرة . وترك « ليو » بقيت معه « أوستين » .. ولو أن الخادم نظر اليها نظرة غريبة وقادنا الى غرفة اخرى حيث بقى

« حوب » .. ثم الى غرفتين اخريين واحدة يحتلها « بلال » والثانية لى ..

كانت هناك قدور ماء فى جميع تلك الغرف ، وبذلك اخذت انا و « جوب » حماما . وكنا سعداء ان ننظف أنفسنا ثانية .. واذ انتهينا جاءت فتاة شابة وادت اشارات لترينا ان الطعام كان جاهزا لنا فى الغرفة التالية التى لم ندخلها بعد .. ويبدو أن الفتاة لم تكن قادرة على الكلام ..

وفى كل جانب من جوانب تلك الغرفة ، كانت هناك مناضد صخرية غريبة وفوق كل منضدة ممر هوائى . وفى احدى المناضد كانت هناك أمكنة حفرت على هيئة رجال .. مكان تستريح فيه الرأس ، وآخر للأجزاء السفلى من البدن وموضع للجزء الأسفل من البدن .. وكانت هناك صور حول الجدران .. وكانت هى الأخرى صورا غريبة غريبة جدا .. !!

بينت الصورة الأولى موت انسان فى منزله ..

والثانية للرجل موضوعا على المائدة الحجرية التى وصفتها ، وكان ثلاثة رجال يقفون جانبا يصبون السائل فى فتحة اجريت فوق قلب الرجل ، وقد غطيت انوف هؤلاء الرجال وافواههم لكانما تحميهم من البخار ورائحة السائل .. وفى الصورة الثانية نرى الرجل يوضع فى القبر وعند الراس والقدم مصابيح موقدة ..

كان واضحا لى أن هذه الغرفة كانت هى الغرفة التى عولج فيها الموتى ليحتفظ بهم بتلك الطريقة السحرية التى عرضها « بلال » فعلا .

ويمكنك أن تفهم كم كنت جوعان بعد رحلتنا .. و « جوب » أيضا قد تأمل فى تلك الصور !!

(١٥) ((هى)) تريد رؤيتك !

بعد تناول الوجبة جلست انا و « جوب » مع « ليو » لمدة ساعة .. ثم جاء « بلال » وقال بلهجة بالغة الجدة :

ـ ان هـذا شرف اتيح لقلة من الناس .. « هى » قالت انها ترغب فى رؤيتك !

واظن انه قد دهش للطريقة الباردة التى اخذت بها هذه الأخبار . ونهضت لأتبعه واذ فعلت هذا رايت شيئا يلتمع على الأرض والتقطته . كان هو الخاتم الذى كان فى الصندوق الحديدى .. الخاتم مع العلامات « ابن الشمس » المنقوشة عليه واعتقد انه سقط من اصبع « ليو » اثناء مرضه وعلى ذلك وضعته فى اصبعى لكى ابقيه آمنا .

وجئنا للممر الثانى وذهبت امام الحراس .. ثم قابلنا اربعة خدم وكانوا رجلين وامراتين .. وانحنوا امامنا دون كلام . وذهب الرجلان الحارسان اولا ثم تبعتهما المراتان .. ومررنا امام ابواب عديدة عليها ستائر فكرت انها لابد أن تكون غرف الخدم . ثم جئنا الى ممر له باب وحارسان يقفان امامه . ومن خلال هذا الباب نفذنا الى غرفة كبيرة فيها ثمانى او عشرة نساء ، معظمهن شابات جالسات يقمن بشغل الابرة .. لم يقلن كلمة ، لم تكن واحدة منهن تنطق او تتكلم او تسمع !

وفى نهاية الغرفة كان هنالك ممر وبابه عليه ستائر

غليظة .. وفى مواجهته وقفت فتاتان براسيهما منحنيين وذراعاهما على صدريهما ، واذ اقتربنا مدت كل منهما ذراعها وشدت الستائر وفتحتها .

ثم قام « بلال » بعمل غريب حقا !! .. نزل على يديه وركبتيه ومضى امامنا على هذا النحو ..

وقال ناظرا الى اسفل : الى اسفل يا « سعدون » .. على يديك وركبتيك .. نحن ذاهبون الى حضرة « هى » .. ولكنى لم ارد ان افعل هذا ، وشعرت بالخوف ولكنى مضيت اسير ببطء وراء « بلال » وشعرت بحماقتى بسبب المجىء الى هذه الغرفة وكدت اشعر بالرغبة فى الضحك .

وكان فى نهاية الغرفة ممر وباب عليه ستائر رفيعة لمع من ورائه ضوء ولم يكن احد فى الغرفة الا نحن ..

واخيرا وصلنا الى الستار وهناك تمدد « بلال » على الأرض .

شعرت أن هناك واحدا ينظر الينا من الناحية الأخرى من الستار ، وبدأت أشعر بالخوف .. لست ادرى لمـاذا ؟

كان المكان ساكنا الى هذا الحد . وكانت ثمة رائحة غريبة .. رائحة ثقيلة .. برائحة ازهار . وشعرت بالمزيد من الوحدة ..

ومرت الدقائق ثم فتحت الستائر .. !

(١٦) وحيدا مع الملكة

قال صوت بالعربية القديمة :

ـ ايها الغريب لماذا انت خائف ؟ !

وكان هذا اجمل صوت سمعته فى حياتى .. مثل همس جدول صغير .. او صوت مطر يسقط على المياه الساكنة .. مثل صوت طير هادىء يغرد عند

شروق الشمس .. مثل احب موسيقى تسمعها اذنك .. !

ثم ظهرت يد بيضاء خلال الستائر وجذبتها وفتحتها ..

كان وجهه الملكة مغطى بقناع حريرى أبيض .. وكان جسمها مغطى .. كما تغطى جثة بثيابها الوقورة .. وحتى مع هذا استطعت ان اعرف أن الشبح الملثم امامى كان شبح امراة شابة جميلة عندما حركت يدا او قدما ، كانت هناك تلك الرشاقة والرقة ..

قالت مرة ثانية :

ـ لماذا انت خائف ايها الغريب ؟ !

ورفعت احدى ذراعيها ورأيت شعرها الذى انهال على ثوبها الثلجى الى قدميها تقريبا ..

اجبتها : انه جمالك الذى يشعرنى بالخوف يا مليكتى !

وسمعت « بلال » يهمس هناك على الأرض :
حسن .. حسن يا « سعدان » !

قالت : ارى أن الرجال لم ينسوا كيف يتكلمون الكلمات الطيبة !

وقالت : والآن قل لى .. كيف جئت الى هنا ! .. ماذا تريد ان تراه بمجيئك الى هنا ؟ .. لماذا لا تفكرون كثيرا بأنفسكم حتى وضعتم انفسكم تحت رحمتها .. تحت رحمة « هى ــ التى ــ يجب أن تطاع » ؟ .. وكيف استطعتم أن تعرفوا لغتى بهذه الجودة ؟ .. انها لغة قديمة .. أهى لغة حية فى العالم الى الآن ؟ !

ثم نظرت الى « بلال » : آه .. انت هناك .. قل لى لماذا هوجم هؤلاء الرجال وتعرضوا للقتل بالقدور ؟ .. ما معنى هذا ؟

وقال دون ان يرفع راسه : قادت هؤلاء الرجال امراة كانت غاضبة من « جوبه » .. ولكن هذا

الرجل ، « السعدان » والآخر ، « الأسد » قتلا المرأة وحاربا حربا جريئة حتى جئت وانقذتهم .. وكل الأشرار الذين اشتركوا فى الهجوم عليهم قد جلبوا هنا الى « كور » لكى تنزلى عليهم حكمك !

ـ اعرف ذلك . غدا ساحاكمهم .. اما انت فانى اغفر لك ولكن كن أكثر حذرا !

ونهض « بلال » على ركبته وانحنى مرتين ثم استدار وخرج من الغرفة بنفس الطريقة التى دخل بها ..

واصبحت وحدى مع الملكة المخيفة !

(١٧) عائشة ترفع الحجاب

قـالت : ان الرجل ذا اللحية البيضاء .. ذلك العجوز الأحمق قد ذهب .. وانا تعبت من انحنائهم لى وخوفهم منى .. واشـعر فى بعض الأحيـان انى استطيع ان انزل عليهم بما لدى من سحر .. فقط لكى ارى وجـوه الآخـرين تتحول الى بيضـاء من الخوف .. !

وفتحت الستار جانبا حتى استطيع ان ادخل الغرفة التالية ..

ووراء الستار كانت هنـاك غرفة يبلغ اتساعها حوالى اثنى عشر قدما .. على جانب منها كان مقعد ومائدة محملة بالفواكه .. وجرة مـاء .. وتضىء المكان مصابيح خافتة الأضواء .

قـالت : اجلس .. لا سبب لديك يدفعك الى الخوف منى .. واذا كان لديك سبب فلن تخـافنى زمنـا طويلا لأنى سـأقتلك ! الآن قل لى .. كيف استطعت أن تتكلم لغتى ؟

قـالت : لقد درستها .. ولا زالت هى لغة الكلام فى مصر !

ـ آه .. الازالت هناك مصر ؟ ! الايزال يحكمها الفرس ؟

ـ كلا .. خرج الفرس من مصر منذ أكثر من الفى عـام .

ـ اما تزال اورشليم باقية ؟ لقد ظلوا يتحدثون عن معلم عظيم وزعيم كبير سـوف يأتى .. اتراه قد جاء ؟

ـ السيد المسيح جاء .. ولا تزال تعاليمه قائمة فى العالم .

ـ آه لقد كان هذا بعد زمنى .. كنت فى اورشليم ذات مرة .. والقوا على احجارا لاتزال آثارها على ذراعى انظر !

وسحبت الغطاء وبينت لى علامة حمراء صغيرة على بياض جلدها ..

امتلأت فزعا وخوفا وعجبا **وقلت :**

ـ ولكن ايتها الملكة لقد مر نحو ألفين من السنين منذ ان ظهر السيد المسيح فى اورشليم .. كيف تستطيع امراة ان تعيش الفى عام ؟ !

ونظرت الى وبدا ان عينيها تفتشان من قلبى **وقالت :**

ـ أيها الرجل الأحمق .. الا تزال تعتقد أن كل شيء يموت ؟ لا يوجد هناك شيء اسمه الموت .. انه فقط تغيير .. ستة آلاف عـام مضت على الناس الذين رسموا هذه الصور على الجدران .. الكل ماتوا بسبب مرض خطير .. الا انهم ليسوا امواتا .. ربما انجذبت ارواحهم نحونا فى هذه الدقيقة !

ونظرت حولها وقالت :

ـ فى بعض الأحيان يبدو لى ان عينى يمكن أن تراهم .. ولكنهم موتى بالنسبة الى العالم .. انهم موتى الى وقت ما .. ولكنهم يولدون من جديد .. انا عائشة .. هذا اسمي !! .. انا عائشـة انتظر واحدا احببته ان يولد من جديد . مات منذ الفي عام . لمـاذا تتوقع أننى وأنا التى بهذا الجمال وبهذه القوة أعيش هنا مع شعب متوحش .. ؟ !

قلت : لا اعرف .

اجابت : ذلك لأننى انتظر هـذا الذى احبـه

لأنني اعرف انه عندما يولد من جديد سيأتي الى هنــا .. !

قــلت : اذا كنا نحن الرجــال نولد من جديد لمــاذا لا يكون هذا حقيقيا بالنسبة لك ؟ انك تقولين انك لم تموتي ابدا !

ـ هذا حقيقي .. لأنى عرفت سر الحيــاة .. والموت .. واسرارا اخرى كثيرة ايضا .. امتعجب انت كيف عرفت انكم قادمون الى هــذه البلاد وهكذا انقذتكم من شعب الأحجار .. ؟ انظر الى هذه المياه !

وقفت ونظرت فى مياه الدورق ووجدت المــاء يسود ثم يتضح ثم رايت قاربنــا فى المــاء . وكان « ليو » راقدا فيه ، نائما وراســه مغطــاة لابعــاد الحشرات . وانا و « جوب » و « محمــود » نجر القــارب ..

وصرخت انــا قائلا : ما هذا ؟ اهو سحر ؟

اجــابت : كلا انه ليس سحرا .. انما استطيع

ان استدعى صورا من الماضى .. ولكنى لا استطيع ان ارى ماذا سيحدث غدا .. رايت تلك الصورة فى الدورق وعلى ذلك فقد ارسلت وانقذتكم .. قل لى .. كيف حال هذا الشاب الذى كان نائما فى القارب ؟ انا احب ان التقى به .. ولكنهم اخبرونى انه مريض ومجروح .

قلت : انه جد مريض .. الا تستطيعين ان تفعلى شيئا من اجله ؟ !

ـ دعه ينام .. يوما آخر . من الافضل ان يقاوم المرض بمحض قوته .. ولكن اذا لم يستطع فسوف اذهب اليه .. من الذى يعتنى به الآن ؟

ـ خادمنا « جوب » .. وهناك امراة من شعبك اسمها « اوستين » يا مليكتى .. !

ـ شعبى ؟ هؤلاء العبيد ليسوا شعبى .. ولا تنادنى باسم الملكة .. لقد تعبت من هذا الاسم نادنى باسم « عائشة » . هذا الاسم يجعلنى افكر فى

الماضى ! .. اما عن « اوستين » .. فلقد اخبرونى ذات مرة عن خطر عظيم يأتينى عن طريق امراة .. وانى اتساءل ...

ثم توقفت **وقالت** : « سارى » ..

ونظرت فى الماء **وقالت** : انظر .. ثم قالت بسرعة .. هل هذه هى المراة ؟

ونظرت فى الماء ورايت وجه « اوستين » وهى تنظر برفق الى شخص اسفلها ..

قلت : نعم ... انها تراقب « ليو » وهو نائم !

قالت : « ليو » ؟ الأسد .. ان الأمر غريب .. ولكن هذا مستحيل ..

ومررت يدها وتلاشت الصورة .. **ثم قالت** :

ـ ألديك شيء ترغب ان تسألنى عنه يا « هوللى » قبل ان تذهب . ان شعب الأحجار شعب متوحش .. انهم لا يعلمون شيئا .. وخدمى لا يستطيعون ان يسمعوا او يتكلموا .. **هل هناك شيء ؟**

اجبت : نعم يا « عائشة » .. اريد ان انظر الى وجهك !

ضحكت وقالت هناك قصة اغريقية عن رجل مات لأنه انكشف على قدر هائل من الجمال .. لو اريتك وجهى ربما اصابك أذى !

اجبت : انا لست خائفا من الجمال ! .. لقد تخليت عن مثل كل هذه الأمور .. فان الجمال كله يزول كما تذوى الأزهار ..

ورفعت ذراعها وجذبت ببطء نقابها .. ربــاه كيف يمكن ان يكون هناك مثل هــذا الجمــال ؟ !! : استطيع ان اصفه .. وكيف يمكن أن يكون مثل هذا الجمال شريرا ؟ !

وظللت وقتا لا استطيع أن أبعد عينى بعيــدا منها . ثم وضعت يدى أمام وجهى . وعندما فعلت هذا رايت ، من خلال اصابعى ، تغييرا كبيرا يطرا عليها كانت عيناها مثبتتين على شيء بنظرة فزع ..

وهمست : يا رجـل .. من اين جئت بهـذا الخاتم ، تكلم والا قتلتك بسحرى ! لقد اخفتك .. اغفر لى .. ولكن الخـاتم من اين جئت به ؟ !

قلت : التقطته!

قالت : هذا امر غريب ، غريب جدا . رايت حجرا مثل هذا مرة مع كاليكريتس .. كان يلبسـه دائما .. وكان يقيمه تقييما عظيما جدا .. اذهب !.. اذهب .. !!

(١٨) لعنـــة عائشـــة

لم استطع ان انام بعد ليلة كهذه .. رقــدت على فراشي متيقظا . واخيرا فى النهاية فكرت انــه من غير المجدى أن انام . وقررت ان اقوم وانظر كيف اصبحت صحــة « ليو » .. وذهبت فى هــدوء الى غرفتــه ..

كان شـديد القلق . والى جانبـه جلسـت « أوستين » نصف نائمة . كانت ممسكة بيده .. اما « ليو » المسكين فقد كان وجهه يشتمل حمرة ، كانت هناك ظلالات داكنة تحت عينيه . وكانت انفاسه ثقيلة .. كان مريضا .. وهبطت على نفسى مشـاعر فظيعة بانه ربما كان يحتضر .

عدت الى غرفتى بنفس الهدوء الذى جئت به .. ولكنى مع ذلك لم استطع أن انـام . وفجاة لاحظت بابا ضيقا قائما فى الحائط .. اخذت المصـباح ورحت اتحقق من امره . انه ليس من المـامون فى بلد غريب ان يكون هناك ممرات تؤدى الى غرفة نومه من حيث لا يعرف الانسان .. مررت فى المنفذ وقادنى هـذا الى سلم .. وفى نهاية قاع السلم كان هناك ممر اصفر منحوتا فى الصخر .. « يجب ان اذهب » .. هكذا فكرت بعد أن أصبحت وسط هذا الكهف الكبير ..

واذ ذهبت حول زاوية احد الأركان ، هبت فجاة ريح اطفات المصباح .. ووجـدت نفسى غارقـا فى

الظلام .. ونظرت أمامى فى هذا الظلام وبعيدا رايت وميضا ضعيفا لنار .. وفكرت ربما استطعت أن أوقد مصباحى هناك ثانية .. وهكذا تحسست خطواتى خطوة خطوة بقدمى ومحتفظا بيدى على الحائط .. ومضيت الى الأمام بحذر ..

رايت ستارا من ورائه تلمع نار .. وكان ضوء النار شديد البياض ولم يكن هناك دخان .. والى اليسار كان هناك رف صغير وفوقه كانت جثة انسان مغطى بقماش ابيض .. وكانت هناك امراة جالسة الى جوار النار . كانت فى الحقيقة جالسة بالنسبة الى فى مواجهة الرجل .. ثم وقفت . وكانت (هى) مرتدية ثيابها كلها ذات اللون الأبيض الا أن وجهها كان متغيرا .. كانت تبدو مليئة بغضب مجنون .. ومع ذلك رايت فى عينيها فزعا والما أكبر كثيرا مما يحتمل المرء .. رفعت ذراعها وسمعتها تهمس قائلة : اللعنة عليها ! .. عليها لعنتى تلك المراة المصرية

لأن سحرها انقذها منى لأنها اخذت منى حبيبى .. اللعنة عليها وهى تموت ، واللعنـة عليها وهى تولد ثانيـة ..

قالت هذا مرة ومرة اخرى ثم بدات تبكى وقد جلست جوار النار : الفا عـام والحب ياكل قلبى .. انتظرت ألفى عـام .. الفا عـام والحب ياكل قلبى والشر الذى فعلته ابدا قبلى أو امامى .. ان الزمن لا يجلب الغفران .. آه يا حبيبى لمـاذا قتلتك ولم أستطع ان اموت ولكن ، واأسفاه ، لا استطيع ان اموت !!

ثم ذهبت الى المكان حيث كان الرجل الميت راقدا وصرخت تقول : آه يا كاليكراتيس يجب أن انظر الى وجهك !

وسحبت الغطاء ثم هوت على ركبتيها الى جانب الرجل الميت وضغطت شفتيها على الجثـة الخاليـة من الحياة وبكت ..

ولم استطع انا ان اتحمل اكثر من هــذا .. استدرت بعيدا .. كان ضوء باهت ضعيف يأتى الى الممر خلال ممر هوائى خفى . ووصلت غرفتى آمنــا وهويت على فراشي .. !!

(١٩) حــكم عائشة

عندما فتحت عينى كان « جوب » فى الكهف .. لبست ثيابى وتناولت بعض الافطار ثم ذهبت لرؤية « ليو » وسألت « أوستين » عن حاله .. ولكنهــا هزت راسها وبدأت تبكى .

وعندما ذهبت الى هنــــاك اتجهت الى الكهف

الرئيسي وكان مليئا الآن بشعب الأحجار .. ومررنا خلال الزحام حتى وصلنا الى مكان مرتفع فى النهاية .. وكانت هناك ممرات كثيرة .

قال ((بلال)) : ان هذه الممرات تؤدى الى كهوف مليئة بالجثث ! .

واضاف : الواقع هو ان الجبل كله ملىء بالموتى .. ولكن هؤلاء الموتى كلهم محفوظون حفظا تاما !!

وعلى الجزء المرتفع كان هناك كرسى مصنوع من الخشب الأسود .. وفجاة دوت صرخة : ((هى ! هى !)) والقى الناس جميعا بانفسهم على الأرض وبقيت انا وحدى واقفا ! .. وجاء صف من الحراس من ممر الى اليسار .. وكانت تتبعهم عشرون خادمة ثم عشرون خادما ثم عشرون خادمة يحملن مصابيح وفى النهاية جاءت عائشة نفسها مقنعة من راسها الى قدمها . وجلست على الكرسى ، ثم تكلمت الى باللغة

اليونانيـــة ، واعتقد انهـــا لم تكن تريد للآخرين أن يفهموا شيئا مما تقول .

ـ يا « هوللى » .. تعال هنا .. واجلس عند قدمى .. وانظر الى كيف أحاكم المفسدين .. هــل نمت نوما جيدا يا « هوللى » ؟ !

قــلت : ليس جيدا ..

فقالت :

ـ انا إيضـــا نمت نوما رديئا .. لقد مرت بى احلام كثيرة .. حلمت بواحد اكرهه وواحد احبه .. فليتقدم الرجال !

وعندما احضر الرجال **قالت عائشة لى :** هــل تعرف هؤلاء الرجال قل لى ماذا حدث !

فقلت بأوجز عبارة ممكنة .. وسمعت قصتى فى صمت تام .. ثم قال « بلال » القصة نفسها من وجهة نظره ..

قالت ((هى)) فى صوت كبرودة الثلج : مـــاذا لديك من قول ؟

لم يكن هناك من جواب . ثم طالب احد السجناء بالرحمة . وساد صمت . ثم وقف السجناء هنـــا برؤوس منحنية . وظل الناس يلقون بأنظـــارهم الى الأرض ناظرين خـــلال اصـــابعهم الى الملـــكة .. ثم تكلمت :

ـــ سيؤخذ بهم الى ساحة الموت ! .

ورجوتها أن تأخذها بهم شفقة ..

واجابتنى بالاغريقية : لا يمكن ان يحدث هذا .. فلو بينت لهم رحمـــــة لأصبحت حيـــــاتكم مهددة بالأخطـــار .. !

واستدارت الى الكابتن وقالت : خذهم !!

(٢٠) كهـوف المـوتى

اقتيد السجناء بعيدا .. وذهب الحراس .. وخرج الناس من القاعة على ايديهم وركبهم .. وتركونا وحدنا فيما عدا خادمين . ووقفت لأنصرف **فقالت :**

ــ ابق يا « هوللى » .. اتحب ان ترى بعضـــا من عجائب هذا المكان ؟ انظر الى هذا الكهف ! عشرات

من آلاف الرجـال عملوا سنوات ليصنعوها .. ان اهل مدينة « كور » مثل قدماء المصريين .. يبدو انهم كانوا يفكرون فى الموتى اكثر من الأحياء !

واشارت الى بعض الكتابة على الجدران ، ورفع خدمها مصابيحهم **وقرات « هى » لنا ما هو مكتوب :**

« فى هذا العام ، اربعة آلاف ومئتان وخمسون عاما .. منذ بناء مدينة « كور » .. وهـذا الكهف هو مقر راحة ابدى للموتى وقـد بنى على يد الملك تسنو ، ملك كور » ..

وقادتنى الى وسـط الكهف حيث كان هنـاك حجر مستدير فى الأرض . وكان هناك مربع من الكتابة على الجدران قربه . **وقرات « هى » :**

« انا جونيو ، كاهن مدينة « كور » إكتب هـذا بعد اربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة اعوام منذ بناء هذه المدينة .. سقطت « كور » .. وهـذا هو قبر شعبها. ومنذ عامين جاءت سحابة على مدينة « كور » ووقع على النـاس مرض غريب .. انقلب لونهم اسـود

وماتوا .. ماتوا .. الأغنيـــاء والفقراء ، المســنون والشـــباب .. وكان الموتى اكثر من أن يحتفظ بهم حسب عادات شعبى .. وهكذا القيت الجثث فى حفرة عميقة تحت الحجر المستدير .. القلة الباقيـــة الذين بقوا ذهبوا الى الساحل واستقلوا ســـفينة وابحروا متجهين شمالا .. انا جونيو الذى يكتب هـــذا آخر رجل ترك حيا فى هذه المدينة العظيمة » .

ـ هل فكرت يا « هوللى » أن شعب « كور » الذى ابحر شـــمالا هو الذى انجب المصريين القدماء الأوائل ؟ تعال وسأريك المكان العميق الذى تتحدث عنه الكتابة .

تبعتها الى ممر جانبى وهبطنا بضع درجات ثم سرنا فى ممر يتجه الى أسفل وفجـــأة انتهى الممر .. ورفع الخدم مصابيحهم ورايت منظرا لن أراه مرة ثانية او أرغب فيه ..

كنا واقفين على طرف حفرة عميقة فى الصخر..

ميقة بحيث ان كنيسة القديس بول فى لندن كان
ن ان توضع فيها . ولكنى رايت انها ملئت بكومة
ة من العظـام ، آلاف الأجـداث من العظام الميتة
ض العظام بيضاء وبعضها بجـلد جـاف لايزال
صقا بها ..

اطلقت صرخة عجب وخوف . وكان لصـوتى
ـدى يدوى فى فضاء هـذه الغرفة .. وتدحرجت
س كانت قد بقيت آلاف السنين ساكنة على قمـة
كومة .. وتدحرجت احجار اخرى كثيرة كانت تسقط
اثرها كما او كانت الحياة قد دبت فى المكان كله .

قـلت : دعينـا نذهب . لقـد رايت ما فيـه
كفايـة ..!

والتفت الى ممر جانبى يؤدى الى مكان بعيد عن
طريق الذى جئنا منه ..

قـالت : حتى عند حدوث المرض العظيم احتفظ
شعب كور دائما بموتاهم .. وسترى !



كانت مملوءة بكومة كبيرة من العظـام ..

ودخلنا غرفة صغيرة مثل هذه التى نمت فيها عند اول وقوف لنا بالمكان . ولكن كان فيها رفان حجريان وعلى كل رف منهما يرقد جسـد مغطى بقمـاش ..

قالت : ارفع الغطاء يا « هوللى » ! ..

وعندما تاخرت انا جذبته « هى » نفسها .. وهناك رايت امراة راقدة وكانت فى حوالى الخامسة والثلاثين من العمر . وكان وجهها بادى الكمال .. كما فى الحياة .. كما لو كانت نائمة .. وفى ذراعيها طفل ضغط بوجهه على صـدرها . منظره جد جميل وحزين بحيث ادرت وجهى بسرعة !

وعلى الرف الآخر كان زوجها وهو رجل عجوز وذقنه شيباء .. أعتقد أنه قد مات منذ عدة سنين وجاء أخيرا ليستريح بجانب زوجته وطفله ..

ذهبنا الى عدد من المقابر المماثلة ، فى بعض منها

كان « الحفظ » سيئا .. وبلمسة واحـدة تسقط الجثة غبارا .. ولكن معظمها وكان الموتى المحفوظون فيها فى حالة نوم ..

وقالت اخيرا : تعـال .. سأريك « تيسـنو » الملك العظيم !

قـلت : لقد رايت ما فيه الكفاية .. خذينى بعيدا .. !!

(٢١) « عائشة » .. و « ليو »

عندما عدنا الى غرفة « عائشة » استدارت نحوى وقالت :

ـ سآتى وسأرى هذا الشاب الذى تسميه الأسد .. لابد أن يكون المرض قد سار فيه سيرته واذا كان سيموت فانى سأنقذه .. اذهب اليه ! وسآتى

عندما اكون قد جهزت ما نحن فى حاجة اليه .

ووجدت « جوب » و « أوستين » فى حـالة من الحزن **وقـالا** :

ـ « ليو » يموت !! لقد كنا نبحث عنك فى كل مكان ..

رايت انه فى خلال ساعة ، او ربما فى بضـع دقائق سيكون من المستحيل معاونته .. وكنت شديد الغضب لانى تركته . كان « جوب » يبكى بصـوت مرتفع . وعندما نظرت اليه خرج ليخفى نفسه واحزانه . ثم عاد جاريا وقد وقف شعر راسه من الفزع !

صـاح : الا فليساعدنا الله يا سيدى .. ها هنا واحد من القبر قادم من الممر نحونا .. !

علمت انه لابد انه راى « عائشة » فى ملابسـها القبرية .. جاءت الى الغرفة .. وجرى « جوب » خائفا مرتاعا الى الزاوية .

قلت : لقد جئت فى الوقت المناسب يا عائشة .. ذلك ان الولد يرقد الآن فى لحظات الموت !

قــالت : اذا لم يكن ميتا بالفعل فانى أستطيع ان ارده الى الحياة .. قل لهذا الرجل وهــذه الفتاة ان يتركانا ..

ذهب « جوب » على الفور ولكن « أوســتين » انتظرت **وهمست :** ماذا تريد « هى » ؟ ..

وكانت « أوستين » مقسمة النفس بين خوفها من الملكة وقلقها على « ليو » .

ـ اليس من حق المراة ان تبقى مع رجلها ؟

قالت عائشة : اذهبى !!

وعندئذ هوت « أوستين » على يديها وركبتيها وخرجت من الغرفة ..

ذهبت عائشة الى السرير الذى رقد عليه « ليو » وجذبت الغطاء لتنظر الى وجهه . سمعت صرخــة

مدويـــة ورايتهـــا تســـقط الى الخلف كمـــا لو انها صعقت . . !

قـــلت : ما الأمر يا عائشة ؟ أهو ميت ؟

قفزت نحوى كحيوان غاضب : يا كلب ؟ لمـــاذا اخفيت عنى هذا ؟ ها هنـــا يرقـــد « كاليكريتس » الضائع الذى جاء الى فى النهاية !!

ثم بدأت تبكى وتضحك . . مثل اية امراة اخرى فى لحظة سعادة كبرى . .

قـــلت : اذا لم تفعلى شيئا تساعدين به رجلك « كاليكريتس » فانه لن يلبث أن يضيع ولن تنفعه مساعدة . .

اخذت وعاء من تحت ثوبها **وقـــالت** :

ـــ صب هـــذا فى فمـــه . . بسرعـــة ! . . انه يموت . !!

كان هذا هو الوقت الملائم فقد كان وجه « ليو » رمادى اللون . وبدات أنفاسه تهوى وسقط فمه مفتوحا وامسكت عائشة براسه وصبت السائل فى فمه .

وطرا عليه تغيير طفيف أصبح وجهه ازرق ، وبدات ضربات قلبه التى كانت ضعيفة قبل هذا ، بدت وكانها تتوقف . ونظرت الى عائشة .. كانت ما تزال تمسك براس « ليو » .. وكان وجهها أبيض وعيناها عميقتين كبحار الحب والخوف .. وكانت لا تعرف اذا كان سيعيش أم سيموت ..

ومرت خمس دقائق . ورايت أنها تفقد الأمل..
قلت : هل تأخر الوقت ! ؟

اخفت وجهها بيديها ولم تقدم اجابة .

ثم سمعت نفسا يجذب بعمق ورأيت حين نظرت الى اسفل خطا من اللون يظهر فى وجهه بطيئا .

همست : لقد انقذ !

وبدات تبكى كما لو كان قلبها قد بدأ يتفجر ثم توقفت .

ـ سينام اثنتى عشرة ساعة .. وعندما يستيقظ سيكون المرض قد تركه !

ووضعت يدها على رأسه ولمست شعره الذهبى .. ثم قبلته برقة بالغة ووقفت !

(٢٢) اذهبى يا امرأة !

وقفت عائشة لحظة ثم جاءتها فكرة ..

قالت : كدت انسى ! .. هذه المرأة « اوستين » .. ما هي بالنسبة الى « كاليكريتس » ؟ اهى خادمته ؟

ـ ان الذى أفهمه هو انها ، بالنسبة لتقاليد

شعب الأحجار تعتبر زوجته ، ولكنى لست أدرى ..

واسود وجهها من الغضب **وقالت** : واذن فانها يجب ان تموت !

صرخت قائلا : لماذا ؟ لماذا ؟ ! ماذا ارتكبت من خطأ ! ؟؟ أم تراك ستظهرين سعادتى بعودة « كاليكريتس » بأن تقتلى شخصا يحبه .. تقولين انك فى الماضى قد ارتكبت شيئا خطيرا الى هذا الرجل ، وانك بيديك قتلت هذا الرجل بسبب « آمنارتاس » المصرية التى احبها .

ــ كيف عرفت هذا ؟ .. لم اقل لك هذا ابدا !

وكانت هذه مفاجأة لى !! فأنا لم اقل شيئا ابدا عن الصندوق الحديدى والأشياء التى يحتويها .

قلت : ربما جاءتنى هذه الأشياء فى الحلم ..

ولكنها لم تكن تصغى الى .. ووقفت صامتة لحظة ، **ثم بدت كأنها تفكر بصوت مرتفع** : « نعم

سأسلك سلوك الرحمة .. فلست امرأة قاسية ولا أحب ان أرى الآخرين يتعذبون او أن أكون سببا فى ذلك » .

ثم استدارت الى **وقالت** : دعها تأتى بسرعة قبل ان اغير رايى !

وخرجت بسرعة الى الممر وناديت « أوستين » .. فجرت نحوى **وقالت** :

ــ هل مات سيدى ؟ قل انه ليس ميتا !!

ــ انه حى . « هى » قد انقذته ..

وهوت « أوستين » على يديها وركبتيها عندما وجدت نفسها أمام عائشة ..

قالت عائشة فى ابرد صوت لها : قفى ! .. تعالى هنا .. من هذا الرجل ؟ !

ــ انه زوجى . أخذته بناء على عادات شعبى يا مليكتى !

ــ لقد فعلت فعلا شريرا بأن اخـذت هـذا
جل الذى هو غريب عن البلاد .. انه ليس واحدا
شعبك .. والقاعدة لا تنطبق عليه . عودى الى
نك ولا تجسرى مطلقا على الكلام معه أو رؤيتـه
اخرى .. اذهبى !!

ولكن « أوستين » لم تتحرك ..

ــ اذهبى يا امراة !!

ورفعت « أوستين » راسها . **وقالت :**

ــ كلا لن اذهب .. انه زوجى وانا أحبه ولن
كه وليس لك الحق فى أن تأمرينى بترك زوجى !

وقلت انـا : الرحمة يا عائشة الرحمة !!

قالت عائشة ببرود : لو لم تكن عندى رحمـة
نت الآن من الأموات .. اذهبى يا امراة .. قبل أن
زك !!

ـ كلا لن اذهب .. انه رجلى .. رجلى انا .. لقد انقذت حياته .. لن اذهب ابدا .. ابدا !!

وخطت عائشة خطوة نحوها بهذه السرعة التى لم استطع انا رؤيتها .. ويبدو لى انها ضربت « أوستين » بخفة على راسها بيدها .. ونسمت الفتاة يديها على راسها وسقطت الى الوراء .. ونظرت انا اليها واطلقت صرخة ، ذلك انه هناك فوق شعرها الداكن ثلاث من علامات الاصبع ، بيضاء كأنها الثلج ..

وضحكت عائشة : اتظنين أيتها الفتاة الطائشة اننى لا أستطيع ان أقتل ؟ انظرى فى هذه المرآة .. ثم اذهبى الآن قبل أن أضربك مرة ثانية !!

ونظرت « أوستين » فى مرآة « ليو » المعلقة على الحائط .

ـ لو رأيتك مرة اخرى فستكون عظامك أكثر بياضا من العلامات فوق راسك !

وخرجت الفتـــاة المسكينة من الغرفـــة وهى تجرى .. واستدارت عائشة نحوى وقالت :

ـ ســـأنبىء خــدمى ان يحمــلوا ســـيدى « كاليكريتس » الى غرفة بالقرب منى حتى استطيع ان اسهر عليه حين يستيقظ .. وستأتى انت ايضا . ومعك خادمك .. ولا تقل « لكاليكريتس » كيف ذهبت هذه المراة ولا تقل الكثير عنى !

وخرجت ، وبعد ذلك بقليل جاء الخدم لينقلوا حوائجنـــا ..

(٢٣) حفـلة الرقص .

جاءت اللحظة التى رأت « عائشة » أن « ليو » سوف يستيقظ فيها **وقـالت :**

ـ سترى يا « هوللى » أنه عنـدما يسـتيقظ سيكون المرض قد تركه .. !

واذ قالت هذا كان « ليو » قد اسـتدار وفتح

عينيــه .. وقــال لتوه اذ لمح « عائشــة » : هاللو « أوستين » .. لمــاذا غطيت راسك هكذا ؟ ! .. هاللو « جوب » .. الى ماذا وصل بنا الحال . ! ؟

فقــال **« جوب »** : لا اعــرف فى الحقيقــة يا سيدى .. ساذهب واحضر لك بعض اللبن . !

ونظر « ليو » مرة أخرى الى « عائشة » **وقــال** :

ــ ليست هذه « أوستين » .. اين « اوستين »؟

قالت « عائشة » : لقد ذهبت وانا الآن مكانها !

وبعد ذلك بقليل خر « ليو » نائما من جديد ..

وفى اليوم التالى كان بخير تقريبا وكان جرحــه قد اندمل .. وظلت « عائشة » تعنى به .. ولكنــه استمر يسأل عن « أوستين » .

وكان شديد الفضــول حول « عائشة » وطلب كثيرا أن يرى وجهها .

ومع انى لم أقل شـــيئا فقد اعتقد انها كانت السيدة التى تكلم عنها الابريق المحطم .

وفى اليوم الثالث ، بعد أن انتهينـــا من تنـــاول الافطار ، ذهبنا الى غرفة « عائشة » كان « ليو » يريد أن يقدم اليها شكره على أنها عملت على شفائه . . ولكى يسألها عن « أوستين » . .

قالت « عائشة » : أحبيك . . كما انى سعيدة لرؤيتك بخير من جديد !

انحنى لها « ليو » ثم شـــكرها من جديد على ما فعلت . . وقال لها هذا بأفضل ما لديه من صيغة عربيـــة .

واجابته هي قائلة : ارجو ان يكون خدمى قد بذلوا اقصي وسعهم للعناية بك . . أهناك شيء يمكن ان افعله من اجلك . . ؟

قال « ليو » : نعـــم أريد ان اعـــرف أين هى السيدة ، أعنى « أوستين » التى كانت معى . . ؟

فقالت ((عائشة)) : آه .. نعم .. الفتاة .. نعم لقد قالت انهـا ذاهبــة .. ولقد رتبت الأمور لاجراء حفلة رقص مساء اليوم .. ربما راقك إن تحضرهــا .. لكن دعنى أولا اعرض عليــك بعض عجائب الكهوف والمغارات ..

لم يكن « ليو » يســتطيع ان يلقى المزيــد من الأسئلة .. وارسلت « عائشـــة » خادمتين ليحضرا المصابيح ويرشدا الى الطريق . وعرضت عليه الكتابة المدونة فى الكهف الكبير ، وعلى الحجر المستدير ، وفى المكان العميــق .. وعرضت عليه أيضــا الكثير من الموتى المحفوظين فى الكهوف .. وكان « ليو » طبعــا شديد الانبهار بكل ما رآه إما « جوب » فقد اصابه الرعب .

وبعد أن تناولنا وجبتنا بقيتنـــا قليلا ثم عندما جاءت الساعة السادسة ، عدنا الى غرفة عائشة .. وكان « جوب » ما يزال مرعوبا اذ جعلوه ينظر الى

« صــور موجودة فى المـاء » .. ثم جـاء « بلال » ليخبرنا بأن الرقص على وشك أن يبدأ .

كان الرقص سيدور فى الهــواء الطلق فى المكان الفسيح الواقع أمام المغارة .

وكان الليل يوشك أن ينسدل .. وتساءلت أنا عما يمكن أن نكون قادرين على رؤيته من الرقص .

وفجأة رأينا رجالا يعدون من كل مكان حاملين أشياء تشتعل فوق أكتافهم .. ثم أخذوا يلقون هذه الأشياء فى أكوام وسط المكان الفسيح . وكان « ليو » أول من اكتشف حقيقة ما يحملون .

صاح قائلا : يا للسماء . ! هذه الأشياء المشتعلة هى أجســام الموتى .. تلك الجثث المحفوظـة التى رأيناها .. وهى التى تحترق كالشمع . !!

وكان نور الاضاءة قد أعد .. وجاء الراقصون . كان هنـاك حوالى مائة رجـل ومائة امرأة . جاءوا

صامتين يسيرون فى صفين . واديت الرقصة فى سكون تام .. وبدا وكأنها رقصة تروى قصة قتل مرعبة ! . ولكنى لم افهمها تماما . كانت كلها قصـــة بشعـة رديئـــة !!

ثم رايت ما بدا وكأنه قرد أو ســعدان يمشى حول النار ، ثم جاء اسد ، ثم قطعان من المـاشية وصفوف من الظبيان وحيوانات النهر وثعبـان كبير وكان كل هؤلاء بشرا . يرتدون جـلود الحيـوان . ولمـا اجتمع جمعهم بدأوا يرقصون ويحدثون اصواتهم الحيوانية المختلفة ..

وســألت « عائشــة » عمــا اذا كان يمكننى أن أذهب أنــا و « ليو » نتمشى قليــلا حتى نستطيع أن نرى الحيوانات عن قرب ..

وبدأنا ندور من جهة اليسار ..

ولاحظت أن احدى الراقصات كانت لبؤة خفيفة الحركة نشيطة قد فصلت نفسها عن الراقصـين .

وفجأة أخذت هذه الراقصة تجرى أمامنا فى الظلام البعيدة . وعندما مرت بنا سمعنا كلمة « تعال ! » .. وكان هذا صوت « أوستين » .. !

واستدار « ليو » على الفور وتبعها ، وسرت أنا وراءه وقد أثلج أطرافى خوف شديد من هذا الاجتماع !!

وسمعتها تهمس : يا للسماء .. ! اسمع .. انى أعيش فى خطر على حياتى من هذه ــ التى ــ يجب أن تطاع .. ألم يخبرك « السعدان » كيف طردتنى ؟ لقد أنقذت حياتك مرة .. وأنت لن تتركنى الآن وتتخلى عنى !!

فقال « ليو » على الفور : كلا .. طبعا !

ــ هناك شىء واحد نفعله . يجب أن نهرب !! خلال الأرض المنخفضة !! يجب أن نهرب بسرعة !! بل انها ربما تسمع الآن أصواتنا !!

والقت نفسها بين ذراعيه ، فسقط عنها راس اللبؤة . ورايت انا الملامات ، علامات الاصبع البيضاء على شعر راسها الملتمع فى ضوء النار ثم سمعت ضحكة صغيرة وراءنا ..

كانت « هى » .. ومعهـــا « بـــلال » .. وخادمان . !!

(٢٤) السـحر .

ساد سكون مخيف ..

وقالت « عائشة » أخيرا : « أوستين » ما كان لى أن الحظك لولا اننى رأيت تلك العلامات البيضاء على شعرك !

وابدت اشارة فجـاء الخادمان وامسكا بالفتاة

من كل ذراع . وقفز « ليو » الى الأمام والقى بواحد من الرجلين الى الأرض ..

ــ لقد احسنت القاء ذلك الرجل .. ولكن دع الرجل الآن يفعل ما أمرته به .. لن يحدث اذى بالفتاة على الاطلاق .. ان هواء الليل بارد وسيحملها الى غرفتى ..

وذهبنا الى غرفة « عائشة » وامرت « جوب » و « بلال » أن يذهبا ، واستدارت الى وقالت : إكان هذا من عملك ؟

قلت : لا ..

قالت : واذن فالخطأ خطأها . الديك شيء تقولينه يا امراة ؟

ورن صوت « أوستين » غنيا واضحا ..

وقالت : لست ملكة ولا سحر لدى .. ولكن قلب المرأة يمكن أن يعرف .. وهناك ايضا ضوء

يومض داخل نفسي وبهذا الضوء فاني استطيع ان أرى الحق .. عندما عرفت سيدى لأول مرة عرفت ان الموت سيكون ثمن حبى ، ولكن حبى كان أقوى من الموت .. وأنا أعلم الآن ، وأنا على حافة الموت ، أعلم أنك لن تكسبى شيئا على الاطلاق بقتلى .. انه رجلى ، رجلى ، رجلى دائما .. ولن ينظر اليك فى عينيك أبدا ويدعوك زوجته . ان نهايتك قريبة . انى ارى .. !

وكانت هناك صرخة فزع وغضب ، لقد نهضت « عائشة » ومدت ذراعها نحو « أوستين » ونظرت اليها .. وعندما نظرت بدت عيناها كأنهما نار !! ووضعت « أوستين » يديها على رأسها وأطلقت صرخة واحدة وسقطت الى الخلف هاوية على الأرض . واسرعت اليها أنا و « ليو » ولكنها كانت ميتة .. !

وقف « ليو » واستدار نحو « عائشة » .. كانت قد رفعت النقاب عن وجهها . وثبتت عينيها اللامعتين العميقتين عليه .. وزال الغضب من وجهه .. ووقف

هنـــاك كانه تحول حجرا .. ورايت قوة سحرهـــا تسيطر على ذهنه ، وجمالها يجذب منه قلبه ورايته يناضل ويستدير كانه سيهرب ، ولكن عينيها امسكتا بـــه .

وبدات تغنى بصوت خفيض ..

وجاء اثنان من الخدم بسرعة الى الغرفة وحملا جثة « اوستين » الى الخارج ..

(٢٥) الميت والحي يلتقيان

واستيقظت كأنى كنت فى حلم .. لقد توقفت « عائشة » عن الغناء ..

تحركت « عائشة » وأعطت « ليو » مصباحا .. وتبعناها .. وقادت الطريق هابطة من سلم ، وكان السلم شديد التآكل .

قالت : لقد ابلى وقع خطواتى ، طيلة الفى عام ، هذا الصخر !

وذهبنا بطول ممر وجئنا الى ستار لم اكن قد رايته قبل الآن .. **وقالت :**

ــ لقد رقدت هنا ، ليلة بعد ليلة ، منذ ذلك اليوم .. هنا حيث يرقد . تعال يا من املكه وانظر الى هذا الشيء الرائع .. انظر نفسك يا «كاليكريتس» كما براقبتك كل هذه الأعوام !

وجذبت القماش عن الهيكل الراقد على الصخر البارد .

ــ انظر كيف يلتقى الحى مع الميت .. !!

وامامنا رقد لابسا الأبيض ومحفوظا حفظا كاملا ما بدا لنا انه جسم « ليوفينسى » ونظرت انا الى « ليو » ، واقفا هناك حيا و « ليو » راقدا هناك ميتا ، ولم استطع ان ارى اختلافا .. !

وقف « ليو » ينظر الى هـذا الشيء ولم يقل شيئا . ثم همس قائلا : غطه !

قـالت : انتظر .. ان عملي الشرير لا ينبغي أن يخفي عنك افتح الفطاء فوق الصدر يا « هوللي » !

وازحت القمـاش جانبـا . وهنـاك ، فـوق القلب ، كان يظهر اثر من جرح حربـة .. **وقـالت « عائشة »** :

ــ لقد قتلتك .. وكان ذلك في « مكان الحياة » بسبب المراة المصرية « امينارتاس » .. ولكن هـذه الجثـة الباردة الآن ليست الا ذكرى .. لقـد انتهى عملهـا ..

واخـذت جرة كبيرة من رف عـال . ونزعت الفطاء وقبلت الوجه البارد . ثم صبت السائل من الجرة فوق الجسم . وصعد دخان كثيف فملأ الكهف كله حتى لم نستطع أن نرى شيئا . وعندما تفرقت السحب اخيرا وذهبت بعيدا عن المكان الذي كانت فيه الجثة راينا فقط كومة من الرماد الأبيض !

قــالت : الآن اتركنى ونم لأننا سيكون علينــا ان نذهب عند المساء فى رحلة طويلة .

ولست أدرى كيف وصلنا الى غرفتنا .. وعندما وصلنا سقط هو على سريره وكاد يبكى ..

وقــال : لم اكن مستطيعا ان امضى .. ولم اكن مستطيعا ان اتركها .. قدماى لم تستطيعا حملى ، وكان ذهنى صافيا وكنت اكرهها داخل عقلى ، او على الأقــل فانى اظن ان الأمر هــكذا . ولكنى اعلم انى سأفعلها غدا مرة ثانية . وانا واقع فى قبضتها الى **الأبــد !**

وانا أيضا رأيت « عائشة » بلا قناع . ولم أدر بماذا احس .. واعلم ان ما قاله كان صادقا ..

(٢٦) خطـة عائشـة

في اليوم التـالى ذهبت أنا و « ليو » فى جولة طويلة ، فشاهدت شعب الأحجار يعملون فى الحقول . كان البعض يلقون البذور من أجولة معلقة على أكتافهم ، كما كان الرجال فى انجلترا يفعلون منذ مئات السنين . لقد كان أمرا مريحا للنفس أن يرى المرء مجموعة من

الناس البسطاء يفعلون أشياء بسيطة . وتكلمنا قليلا .

وبعد تناول وجبتنا خرجت وسرت من جديد وعندما عدنا قابلنا « بلال » وأمرنا أن نذهب لرؤيتها.

وعندما انصرف الخدم طلبت الينا « عائشة » ان نجلس ثم **قالت :**

ــ يا كاليكريتس ، قبل أن نصبح رجلا وزوجته يجب أن تصبح مثلى : بلا موت !!

وعجبت ماذا سيحدث بعد هذا .. **واستمرت « عائشة » قائلة :**

ــ سنبدأ هذا المساء قبل غروب الشمس .. وبليل الغد سنكون قد وصلنا « مكان الحياة » .. وهناك ستستحم في النار وتخرج منها كما لم يخرج رجل من قبل ابدا .. !

ولم استطع ان اسمع ماذا أجاب « ليو » على هذا المشروع المثير **ومضت فقالت :**

ــ وأنت يا « هوللى » .. لقد أسعدت قلبى بأعمالك ولذلك فسوف تجىء معنا .. !

*

لم يكون بى رغبة أن أجعل حياتى أطول مما أعدته الطبيعة ولكنى لم أقل شيئا . وساد بعض الصمت ثم سألت :

ــ قل لى يا كاليكريتس كيف حدث انك جئت تبحث عنى ؟

فأخبرها بقصة الصندوق الحديدى وما فيه من كتابة ..

وعندما انتهى سألت « هى » : واذن فان « أمينارتاس » التى كرهتنى هذه الكراهية كانت هى، فى النهاية ، سبب مجيئك الى هنا .. والآن اخبرنى عن بلادك انك طبعا تحب أن تعود اليها .. فانى لا أعنى أن عليك أن تعيش فى كهوف « كور » الى الأبد وانه ليسعدنى أن تتركها .. ستحكم انجلترا .. !

ــ ولكن لدينا ملك وملكة بالفعل !

فقالت عائشة : هذا أمر لا يهم فانه يمكن طردهما أو قتلهما !!

وحاولنا أن نفسر لها اننا نحب ملكنا ومليكتنا وانه ليست لنا اى رغبة فى تدميرهما .. ولكن بلا جدوى ..

قالت : هذا شىء غريب ! ملك وملكة يحبهما الشعب . لقد تغير العالم كثيرا منذ جئت الى « كور » . انى لا افهم ما تقول ..

وحاولنا أن نفسر كيف ان بلادنا يحكمها شعبنا وكيف تصوغ قوانينها .. **فضحكت وقالت :**

ـ القانون ! انا فوق القانون . . والآن اتركونى . . واستعدوا للرحلة !

وبدا الاجتماع كله كحلم ردىء . وعندما سرت عائدا الى غرفتنا جال فى خاطرى كيف أنه يحدث لو كان بلد على رأسه ملك لا يموت ابدا .. أظن ان ذلك يتوقف على مدى ما فى هذا الملك من طيبة أو شر ... !

(٢٧) خـــرائب كـــور

لم تكن الرحلة لتدوم أكثر من ثلاثة أيام ، لذلك اخذنا ثيابا نظيفة وحملنـــا بنادقنـــا . وعند غروب الشــــمس ذهبنـــا الى غرفـــة « عائشة » ووجـــدناها مستعدة تماما . وعند فتحة مدخل الكهف كان هناك فى انتظـــار « عائشــــة » مقعد وستة رجـــال ومعهم « بـــلال » . أما نحن الآخرون فكان علينا أن نمشى ولم يكن يراقبنا احد ونحن نبدأ السير .. واعتقد

أن كل الناس قد أمروا بالابتعاد حتى لا يعرف أحد اننا قد رحلنا .

ثم قطعنا الطريق عبر الوديان التى كانت مرة قاع بحيرة . وبعد ان ظللنا سائرين حوالى نصف ساعة اقتربنا من خرائب مدينة « كور » القديمة ..

كانت الشمس تغرب عندما وصلنا المكان وسرنا عبر قنطرة تقودنا الى المدينة .. واذ وقفت على الجسر نظرت الى اسفل حيث تمتد اميال من الخرائب: منازل الأغنياء الكبيرة .. ومنازل الفقراء الصغيرة .. والحدائق التى زادت فيها النبات عن طوقها .. والطرقات المتقاطعة .. والميادين المربعة والأسقف التى آلت الى الانهيار .. وكانت الأشجار والأعشاب الكبيرة قد انبثقت الآن من بين الأحجار الكبيرة التى مدت فوق الطرقات ، الا ان المرء كان يستطيع أن يتصور شكل ما كانت عليه الأشياء .. فى ضوء الشمس الأحمر وهى تغرب ..

كان فى وسط المدينة بناء جد كبير .. وكانت

جوله عدة اروقة ، الواحد منها داخل الآخر .. كان هذا مكان الالهة التى يعبدها شعب « كور » .. ووقف خدم « عائشة » فى مدخل هذا المبنى المركزى .

وقالت « عائشة » : يوجد هنا مكان لكم ان تقضوا فيه الليل . ومنذ الفى عام جئت هنا انا وكاليكريتس والمراة المصرية .. لعل هذا المنزل قد هوى منذ ذلك الحين ..

وصعدت (هى) بضع خطوات فى الممر الخارجى ونظرت فيما حولها ثم **قالت** : « انه هنا » !!

وصعدت (هى) الى حجرات كانت محفورة بداخل الحائط .. ودخلنا .. وتناولت انا و « ليو » و « جوب » وجبة طعام ، واكلت « عائشة » بعضا من الفاكهة ..

وقالت « عائشة » : لقد اتيت بكم هنا حتى يمكنكم ان تروا القمر يسطع فوق خرائب « كور » .. وعندما تتهياون سنخرج ونشاهد اطلال هذا المكان

ونرى ربب شعب « كور » الذى كانــوا يعبدونه فيما مضى .

ومررنا فى بهو بعد بهو .. اخذ كل منا يهمس الى الآخر .. وسط السكون ، بين قاعات بلا اسقف وامام نوافذ عالية يضيؤها القمر .. وسقط الضــوء الأبيض على السكون المنقطع الأنفاس لا يقطعه الا صوت خطواتنا .. ودقيقة بعد دقيقة ظلت الأشباح الصامتة تتحرك عبر الأفنية التى نمت فيها الحشائش ..

قالت « عائشة » اخيرا : تعالوا وساريكم اعظم روعة فى المكان .. سأريكم الربة التى عبدها شــعب « كور » !

ودخلنا الى اقصى الأفنية فى الداخل وفى وسطه كان مربع كبير من الصخر وفوقه كرة من حجر اسود عرضها عشرون قدما .. وينهض فوق الحائط تمثال يصور امراة ذات اجنحة منبسطة مصنوعة من الحجر

الأبيض الصافى .. كانت ذراعاها ممدودتين وعيناها عليهما نقاب .

سألت : من هى ؟

قالت « عائشة » : الا تستطيع ان تخمن ؟

وقادت جماعتنا الى قدم التمثال وقرأت الكتابة المحفورة فى الصخرة :

اجذب النقاب وانظر الى الحق ..

وجها لوجه ولكن الموت نفسه ..

هو الذى يمكنه ان يجذب النقاب ..

وقالت « عائشة » : كان الحق هو الهة شعب « كور » !

(٢٨) داخل جبل النار

فى اليوم التالى استيقظ الخـدم قبل ان يظهر ضوء النهار ، ووجدنا « عائشة » مغطاة بمعطف داكن اللون ، تنتظرنا فى الخـارج ولاحظت انها بدت اكثر حزنا وقلقا ..

سالها « ليو » : هل نمت جيدا ؟

قــالت ((هى)) : يا كاليكرايتس لقــد دهمتنى احلام رديئة ولست أدرى ماذا تعنى هــذه الأحلام .. ولكن كيف يمســنى أى شر ؟ انى أتســاءل .. اذا ما حدث لى شيء أتراك تفكر فى برقة .. ؟

ولم تنتظر اجابة .. وسريعا ما تركنا المدينــة المخربة وراءنا .. وعند منتصف نهار اليوم توقفنــا لراحة قصيرة وتناول وجبــة طعام .. وفى الساعــة الثانية كنا عند سفح جدار عال من الصخرة ينهض حوالى الف وخمسمائة قدم .

قالت ((عائشة)) : ان الناس يسمون هذا المكان جبل النار .. ولكن احدا لا يجرؤ أبدا على الاقتراب منه ونحن نترك الخدم هنا .. وأنت يا « بلال » امكث معهم .. ولك أن تنتظر تحت هذه الأشجار هناك .. ونحن سنعود الى هنــا غدا عند الظهر .. واذا لم نحضر فعليك أن تنتظر .

واشــارت هى الى « جوب » **وقــالت** : هــذا

الرجل من الأفضل ان ينتظر .. الا اذا كانت لديه الشجاعة الفائقة .. ان اسرار المكان الذى سنذهب اليه ليست للأعين المادية .

قال « جوب » عندما سمع هذا : لا استطيع ان ارى الآن ابشع مما رايت .. ولا احب ان تتركونى هنا مع هؤلاء النـاس الذين لا يستطيعون ان يقولوا كلمة .. وقد يضعون القدر على راسى .. انى افضل ان آتى معكم !

قـالت « عائشـة » ، عندما اخبرتها باجابـة « جوب » : حسنا .. دعوه ياتى ! .. دعوه يحمـل اللوح الخشبى !

وأشارت الى لوح خشبى يبلغ طوله خمسة عشر قدما قد ثبت فى المعبد الذى حملت فيه « عائشة » .. حمل « ليو » الطعام والشراب وحملت انا المصابيح وكذلك وعـاء الزيت .. وذهب « بلال » والخدم ..

واستدارت « عائشة » ونظرت الى التل ..

هـذا ؟ !

وقلت انـا : يا لله .. انحن ذاهبون لنصعد

وتقدمت « عائشـة » ، قافزة من صخرة الى صخرة بخفة رائعة ورشاقة كبيرة ، ونحن طبعا كان علينا ان نتبع وان نساعد « جوب » وهو يحمل اوحه ويمضى ..

وسريعا ما وصـلنا الى رف ضيق من الصخر وكان يزداد سعة عندما سرنا فيه .. الا ان طرفـه الخارجى اصبح أعلى واعلى وفجـأة انتهى هـذا الممر فى كهف الى اليمين .. وكان كهفا طبيعيا وربما كان نتيجة انفجار غازى كبير ..

أمرتنى « عائشة » أن اشعل المصباحين وان اعطيها احدهما ، ثم قادت الطريق هابطـة الى الكهف متخيرة الطريق بحرص شديد .. فقد كانت هنـاك احجار كبيرة وفتحـات يمكن للواحد ان يدق فيهـا عنقـه .

ومضينا قدما فى هذا الطريق لعشرين دقيقـة

أو اكثر ثم وقفنا .. واذ حاولت ان أنظر امامى فى الظلام هبت ريح قوية واطفأت المصباحين !

نادت علينا « عائشة » ، وتحسسنا طريقنا الى الأمام ورأينا امامنا شقا كبيرا فى الصخور .. كان ضوء النهار يضيئها اضاءة ضعيفة من أعلى ، وسقطت الصخرة بعيدا هابطة فى الظلام ولم نستطع أن نرى الجانب الآخر من العتمة .. ولكن انزلقت الصخرة التى كنا واقفين فوقها الى الأمام حتى نقطة بالغة الضيق فى مقدمتها .. كنقطة سن القلم !

قالت « عائشة » : اتخذوا الحذر !! لا تنظروا الى اسفل او تتركوا الريح تقتلعكم فان هذا المكان لا قاع له !!

وبدأت تسير بحذاء النقطة النهائية المستدقة تاركة ايانا نتبعها وكنا أول العابرين لها .. وكان « جوب » ورائى يشد اللوح على الأرض و « ليو » فى النهاية .. وقبل أن امضى بضع ياردات وجدت ان من الأفضل أن أسير مرتكزا على يدى وركبتى ..

وفعل الباقون مثلى .. وقام « ليو » بمساعدة « جوب » فى جر اللوح . ولكن « عائشة » نهضت واقفة ضاغطة جسمها ضد الريح .. وبدت لا تشعر بخوف ابدا ..

وسرنا عشرين ياردة ازاء الجسر الرهيب .. وفجاة هبت ريح قوية مندفعة الى الكهف . ورايت « عائشة » تقف ثابتة ضدها وفى مواجهتها .. ولكنها خلعت معطفها وعرضته للريح العاتية التى حملته بعيدا كطائر لا حول له ولا قوة . وامسكت أنا بالصخرة التى بدت تهتز من تحتى .. وهناك ركعنا ، بين الأرض والسماء ولا شىء تحتها سوى الخلاء .. بينما اندفعت الريح القوية من فوقنا بسحب دخانية مندفعة لازلت احلم بها واستيقظ من نومى والرعب يبتردنى حتى الآن !

صرخت « عائشة » وهى واقفة الآن مثل روح بيضاء امامنا وقالت : اماما !! أماما !! او انكم ستسقطون وتتقطعون قطعا .. ! .. ابقوا اعينكم على الأرض وامسكوا جيدا بالصخر !!

(٢٩) الحجر المتأرجح

وهكذا ذهبنا مسافة لا ادرى كم كان طولها حتى جئنا اخيرا الى ابعد نقطة من الصخر . وهناك بقينا مسكين بأصابعنا فى الأرض بينما وقفت « عائشة » وشعرها يتطاير فى مواجهة الريح . والآن رايت لماذا اخذنا معنا اللوح الخشبى ..

كان امامنا مكان خال ، وعلى الجانب الآخر شيء لم أتمكن من رؤيته ..

قالت « عائشة » : يجب ان ننتظر فسريعا ما سيطلع الضوء !

لم أستطع ان اتصور ماذا تعنى فكيف يكون هناك ضوء فى هذا المكان السفلى المظلم ؟

وبينما كنت لا ازال افكر فى هذا الأمر واذا بسيف كبير من ضوء الشمس الغاربة يومض خلال الظلمة الى هذه النقطة من الصخرة . واضاء هذا النور الذهبى « عائشة » كلها بكل جمالها وروعتها ..

انه هذا الشعاع من الضوء هو الذى كانت تنتظره « عائشة » .. لقد دبرت أننا ينبغى أن نصل فى الوقت المناسب . ورايت على بعد اثنى عشر قدما من الصخرة ، على الجزء الآخر ، حجرا شبه بيضاوى ، طوله عشرون أو ثلاثون قدما واقفا على ابرة من الصخر قائما بارزا فى الظلام .. واذ هبت الريح رايتها

تهب أماما وخلفا ، وهكذا بالضبط رتبت بحيث أشفقت أن تهب هبة ريح أقوى فد تستطيع أن تلقى بها وتسقطها ..

وقالت « عائشة » : هيا سريعا احضروا اللوح .. يجب ان نعبر بينما الضوء قائم باق .

قال « جوب » وهو يدفع اللوح امامه : يالله .. انها طبعا لا تعنى ان نمشى هناك فوق ذلك الشىء ..

دفعت « عائشة » باللوح تخرجه بحيث استقر طرف منه على الحجر البيضاوى الشكل ، والطرف الآخر على نقطتنا من الصخر ..

وقالت : منذ كنت هنا أخيرا فان هذه الصخرة لا تبقى ثابتة ولذلك فانى غير متأكدة انها ستتحمل وزننا ولذلك فسأذهب اولا .. !

وجرت بخفة عبر الجسر **وقالت هى من الطرف الآخر** : انها آمنة . ساقف . ساقف عند الطرف

القصى بحيث لا يستدير الحجر تحت وزنكم . والآن تعال يا « هوللى » ان الضوء سريعا ما يزول ..

وهبطت على ركبتى .. وشجعتنى « عائشة » **قائلة :**

ـ طبعا انك لا تشعر بالخوف .. والآن اعطا مكانا لكاليكريتس !

وقلت لنفسي : انى لافضل ان اسقط هنا حتى لا تضحك منى عائشة !

وشعرت باللوح يكاد يضعف تحت وزنى . وانا كثيرا ما كنت اكره المرتفعات .. وبدا ان عينى تتحولان الى سواد وظلمة .. وشعرت بالبرودة تسرى فى كل انحاء جسمى . وبدات قدماى وذراعاى يتحركان دون ارادة منى . واخيرا وجدت نفسى نائما على الصخر الذى كان يتأرجح تحتى مثل قارب فى بحر عاصف !

وجاء « ليو » جاريا عبر الجسر كما لو كان



كانت الصخرة تتأرجح تحتى ..

يمشي على الحبال . ومدت « عائشـــة » يدهــا له وقــالت : هذا عمل شجاع !

وكان « جــوب » الآن على يديه وركبتيــه فى الناحية الأخرى من اللوح وقــال : لا اجسر ان افعل هــذا !

وصحت به : تعــال يا « جوب » .. لو بقيت هناك ستموت وحدك فان الضوء يتلاشى ..

وقــا « ليو » : تعال يا « جوب » .. انه امر بسيط جدا !

وجذب نفسه معتمدا على يديه وكانت رجــلاه متعلقتين بكل طرف من اللوح وعنــدما وصــل الى المنتصف ذهب الضـــوء وصرخت قائــلا : تعــال يا « جوب » ! ..

وكان الحجر الذى رقدت عليه يتارجح ويتارجح بحيث اصبح من الصعب تثبيته وهتف « جوب » من

الظلام : يارب .. رحمتك !! .. ان اللوح سيسقط !

وفى هذه اللحظـة سمعت اللوح يسقط ضاربا الحائط الصخرى فى طريق سقوطه !

وتساءلت قائلا : كيف سنعود اذن .. ؟ !

وقـال ((ليو)) : لست أدرى .. انى شاكر أننا هنا سالمين !

(٣٠) نـــار الحيـــاة

قالت ((عائشة)) : اعطنى يدك !

وشعرت كان احدا يقودنى فوق طرف الحجر . . ومددت رجلى ولكنى لم اشعر بشىء .

فــالت : دع نفســك !

لم يعجبنى هـــذا . وشعرت بأنى اســقط ثم

استقرت قدمى على ارض صخرية .. وكنت أشعر بالريح تهب من فوقى ولكنى فى النهاية كنت ما ازال فى الهواء الأمر الذى شكرت عليه الله . وسريعا ما جاء « ليو » جانبى ثم جاء « جوب » ..

وقالت « عائشة » : اشعلوا المصابيح !

ورايت اننا كنا فى كهف صغير ، عرضه حوالى عشرة اقدام وكان سقفه هو الحجر المتارجح . ورايت « ليو » جالسا على الأرض ووجه « جوب » الخائف وهو يجلس جانبه و « عائشة » واقفة هناك بهدوء تنتظر اشعال المصابيح ..

وقالت : يمكنك أن تبقى هنا بعض الوقت للراحة .. لقد كان هذا المكان منزلا لرجل حكيم اسمه « نوت » عاش هنا وحيدا وعرف اسرار الطبيعة . اكتشف نار الحياة ، التى ساريكم اياها ! وعظامه ترقد هنا . لم يكن ليدخل النار لأنه كما قال ان الانسان يولد ليموت . لقد جئت الى هذه البلاد قبل وقت بعيد . واخبرنى بالسر ثم قابلت

« كاليكريتس » واحببته وقررت ان أجيء هنا وأن اتلقى نعمة العيش الى الأبد لكلينا . وعندما جئت رايت الرجل العجوز ، « نوت » ، ميتا !

وضعت يدي واحسست ، بالتأكيد ، بين اصابعى باحدى الأسنان وبراس بلا عيون ترقد قرب يدى اليسرى !!

وقالت : نعم هذا هو كل ما بقى من حكمة « نوت » .. وأنت ، يا « كاليكريتس » عندما لم تتبعنى الى النار اخذت الحربة التى تحملها وفتاتك . وبكيت لأننى لا اموت بينما تموت أنت . هاك ! هذا هو الحق !! لم اخف عنك شيئا . قل لى انك تغفر لى ذلك وتغفر لى قتلى لتلك الفتاة التى احبتك « اوستين » لأنها عصتنى !

ثم تكلمت ثانية وقالت : ارفع عنى نقابى .. بلا خوف كما لو كنت انا مجرد فتاة قروية ولست احكم ولا اجمل امراة رآها العالم .. !!!

كان « ليو » شديد التأثر . لقد ذهب الآن سحر الملكة الغريبة .. فحتى الآن كان واقعا فى قبضتها مثل عصفور امسكت به عين ثعبان . الا ن الأمور قد تغيرت الآن .. وادرك انه الآن يحب هـذه المرأة الرائعـة الباهرة !! ورأيت عينيه تمتلآن بالدموع .. واخـذ يديها وازاح نقابها جانبا ونظر فى عينيها العميقتين ، **وقـال :**

ــ « عائشـة » .. انى احبك وانى اغفر لك !

ونزلت على ركبتيها وضغطت يده على **قلبها .. وقالت برقة :**

ــ فى هذه اللحظة الأولى والرائعـة لحبنا اعدك بأنى سـأترك الشر وابحث عن كل ما هو خـير .. وسيرشدنى صوتك فى ممر الواجب .. ولن ابحث ابدا عن ان اكون امرأة عظيمة وانمـا سأبحث فقط عن حبك ورعايتك أنت الذى عدت الى اخيرا ..

ووقفت واخذت المصباح وفى نهاية الكهف كان هنالك درج ، لم يصنعه الانسان وانما كان مجرد قطع

من الصخور نامت هنا وهناك ليكون منها درج .. وانتهت الى ممر بالغ الانحدار . ومضينا امامنا هابطين هابطين لمدة اكثر من نصف ساعة ... ثم وصلنا الى مكان من الضيق بحيث كان علينا أن نمر فيه واحدا بعد الآخر .. ومنه جئنا الى كهف من الكبر بحيث لم نستطيع ان نرى السقف أو الجدران . وعلمنا انه كان كهفا فقط بصوت خطواتنا وبالهدوء الكامل لما فيه من هواء ثقيل ..

ومضينا أمامنا فى سكون وشبح « عائشه » الأبيض يبدو كأنها روح ترشدنا .. وجئنا الى كهف ثان امامنا . ثم دخلنا كهفا أصغر من الأول ، وكان فى نهايته ممر يخترقه ضوء خافت ..

وقالت : هذا جيد !

واسرعت أمامنا على طول الممر . وأصبح الضوء اقوى ، ثم أضعف ، ثم اقوى ثانية .. مثل اشعة قادمة من منار يضرب بأشعته ليهدى السفن فى

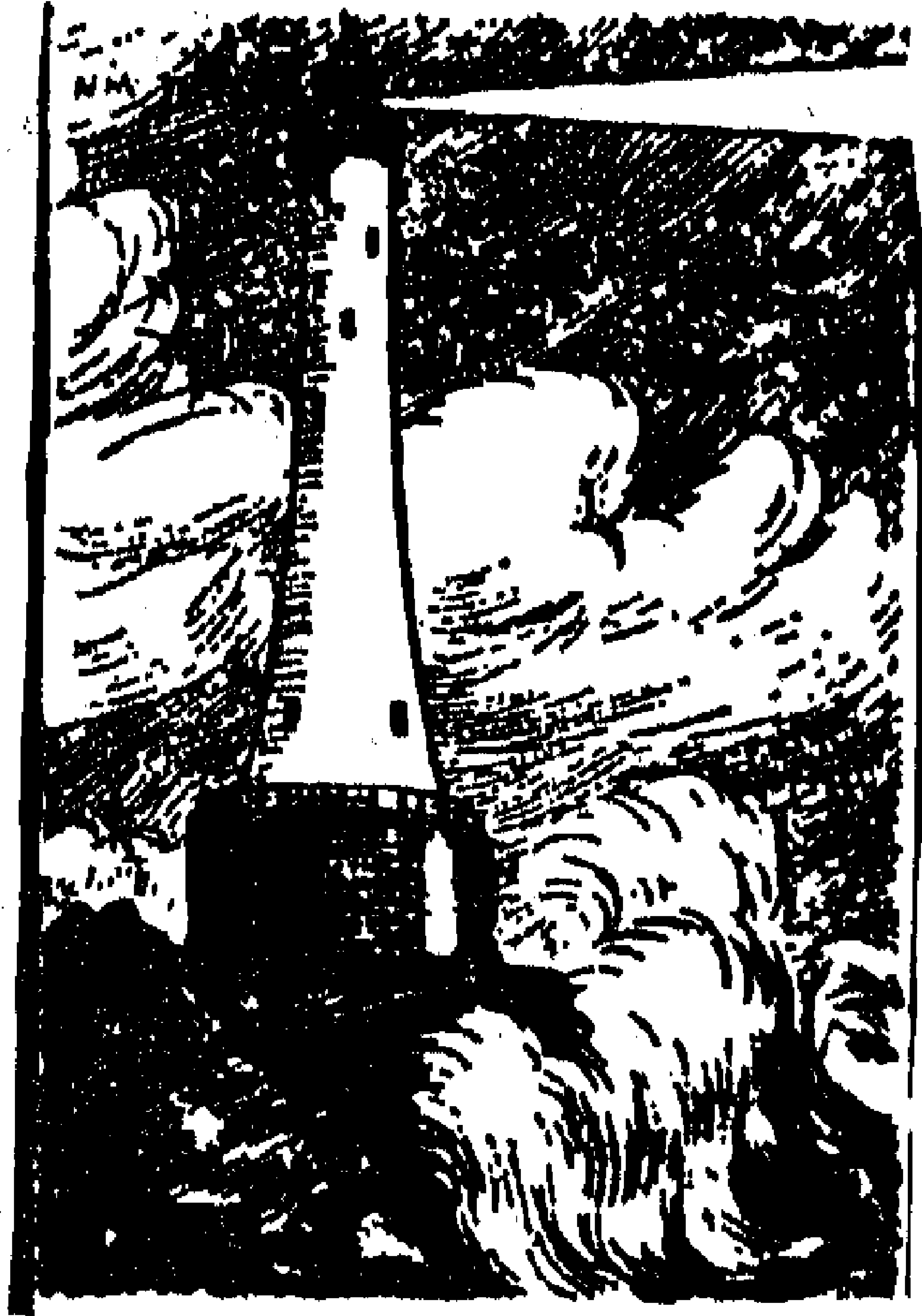
البحر .. ومع كل شعاع كنا نسمع صوتا عميقا كأنه عاصفة تضرب الصخور !

واستدار الممر حول زاوية ركن .. ويا للسماء!!

كان هذا الكهف الثالث حوالى خمسين قدما فى الطول وثلاثين قدما فى العرض وتغطى ارضه رمال بيضاء .. ولم يكن الكهف مظلما مثل بقية الكهوف الأخرى ، وانما كان مليئا بضوء ذى الوان وردية . وبينما وقفنا فيه نتعجب من أين تأتى أضواؤه حدث شىء غريب وجميل .. فعبر الكهف وبضجيج بدا أنه يهز الأرض والذى ملأ قلوبنا خوفا جاء حائط كبير من النيران الملونة المضيئة ذات لمعان يفوق الخيال .. وبدت هذه النيران زهاء نصف الدقيقة واهتز الكهف بصوتها..ثم خبت شيئا فشيئا تاركة وراءها وميضها الملون الذى شاهدناه ..

وقالت ((عائشة)) : تعالوا هنا .. هذه قلب الحياة وهى تضرب صدر العالم !

وتبعناها خلال الضوء الوردى حتى وقفنا امام



المنـــارة ..

المكان الذى يضرب فيه ذلك القلب وحيث جبلت النيران . واذ مضينا شعرنا بقوة وحشية رائعة تسرى فينا وهو شعور كنا نحس فيه بأننا نقدر أن نفعل كل شىء وان نجاسر باى شىء . وشعرنا فى داخلنا ببهجة عالية وبنفس اكثر نبلا مما سبق أن عرفنا قبلا ..

وعاد صوت النيران ودارت حولنا كأنها عاصفة .. ثم جاءت النيران المتعددة الألوان .. وهوينا نحن على ركبنا امامها واخفينا وجوهنا .. بينما وقفت « عائشة » مادة ذراعيها نحو الضوء .. !

وعندما ذهبت قالت (هى) :

ـ عندما تأتى النيران ثانية يا كاليكريتس يجب عليك أن تقف فى وسطها !

قال « ليو » : انى اسمعك يا « عائشة » ولكن اتظنين انها لن تدمرنى بحيث افقد نفسى وافقدك انت ايضا .. ولكنى سأفعل ذلك !

وفكرت « عائشه » لحظة **ثم قالت** : انه ليس من اللائق ان تخاف ، ولكن هل اذا رأيتنى اقف فى النار واخرج منها دون اذى يمسنى الا تدخل انت ؟.. سأستحم فى حمام الحياة هذا ثانية ! .. ولا يمكننى ان اضيف الى طول ايامى أو الى جمالى .. ولكنى عندما جئتها اولا فقد امتلأ قلبى بكراهية المصريين . والأمر الآن مختلف وانا الآن مليئة بالسعادة والحب .. وربما كانت النار ستغسلنى وتجعلنى نقية نظيفة واكثر ملاءمة لك !

وسمعنا صوت النيران العائدة من بعيد ..

وصرخت (هى) تقول : استعد ! استعد !!

(٣١) عائشـــة فى النــار

وضعت « عائشة » نقابها جانبا واخذ شعرها يتطاير حولها .. واقترب الصوت..ووضعت ذراعيها حول عنق « ليو » **وهمست قائلة :**

ـ آه يا حبيبى .. أتراك ستعرف كم احببتك ؟!

كان الصوت كأنه ريح عاتية تمرق خلال غابة

كاملة ملقية بأشجارهـــا أرضـــا . واقتربت وازداد اقترابها . والآن أخذت أسهم من نار تنفذ خـــلال الهـــواء ذى اللون الوردى الأحمـــر . ثم ظهر طرف النار ، والتفتت « عائشة » نحوها . وجاءت الريح ، وسارت على هيئتها .. وبدت كأنها ترفعها بيديها ، وتصبها على رأسها كالمياه .. ورأيتها كأنها « روح النار » .. ولعبت النار على شعرها .. وحول رقبتها وبدت كأنها سكنت فى عينيها ولم أشهد أبدا مثل هذا الجمال .. !

وفجاة طرأ تغير على وجهـــا : كانت الابتسامة قد زالت عن شفتيها وحلت محلها الآن نظرة جافـــة صارمة .. وبدا الوجه المستدير يصبح حـــادا قلقـــا غاضبا .. ثم أخذت العيون تفقد ضياءها والجسم كله يصبح أقل استقامة عن ذى قبل ..

وفركت عينى وظننت أن الضوء اللامع قد جعلنى أرى الأشياء على غير حقيقتها وأن النار الكبيرة قد أخذت ترحل الآن تاركة « عائشة » واقفة هكذا .

خطت خطوة نحو « ليو » ومدت ذراعيها وكان الذراع رفيعا . برزت فيه العظام .. وكان وجهها .. كان وجهها يزداد تقدما فى السن امام عينى ..

وقالت : ما الأمر يا كاليكريتس ؟ ان النار هنا غريبة بعض الشىء لا استطيع أن ارى بوضوح . ورفعت يدها ، ولمست شعرها .. وسقط شعرها كله على الأرض .. !

وصاح « جوب » : انظر . ! انظر . ! ان وجهها يتغضن ويذبل .. انها تتقدم فى السن سريعا سريعا .. وهوت الى الأرض بلا احساس .

كان الأمر حقيقيا .. رايت جلدها يتغير لونه .. اصبح لونه اصفر داكنا ترتسم عليه ملايين الخطوط وكان صغيرا لا شكل له .. ونامت راقدة على الأرض تتحرك بضعف وموات .. هى التى كانت منذ دقائق قليلة ابهى وافخر امرأة وقعت عليها العين فى هذا العالم كله .. ! ؟

كانت تدخل عالم الموت .. ورأينـا ذلك كله وشكرنا الله عليـه .. ذلك لأنها لو كانت بقيت على قيد الحياة فكيف ستكون حياتها .. ؟

ورفعت (هى) نفسها فوق عظام يديها ونظرت حولها بعيون لا ترى .. !

وقـالت : يا كاليكربتس .. لا تنسـنى .. واشـفق على فى عارى وفضيحتى .. سـآتى مرة اخرى .. وساكون جميلة مرة ثانية !

وفى نفس المكان الذى قتلت فيه كاليكريتس منذ الفى عام .. سقطت « عائشة » نفسها ميتة .. !

وهويت انا الآخر وسقطت بلا احسـاس على رمال المكان ..

(٣٢) قفزة من أجل الحياة

لست اعرف كم ساعة رقدت هناك ، ربما ساعات عديدة .. وفى النهاية فتحت عينى ورأيت الاثنين الآخرين يرقدان على الأرض . وقفت وأخذت القناع ووضعته على تلك التى كانت فى يوم من الأيام « عائشة » ..

ذهبت الي « جوب » وكان مستلقيا على وجهه

وقلبته وسقطت راسه الى الخلف بشكل لم يبد لى طبيعيا .. ونظرت اليه : كان ميتا !!

واخيرا وقف « ليو » ..

ثم رايت شيئا آخر رهيبا .. كان شعره ابيض فى بياض الثلج وقد كبر عشرين عاما ..

قلت ان « جوب » ميت .. اوه !!! يبدو ان ذهنه ابى ان يتلقى وقع هذا الحدث !!!

ذهبت وملأت المصابيح بالزيت من الاوعية التى جلبناها معنا ..

وفى النهاية وقف « ليو » ثم ذهب الى « جوب » ولمس يده .. واخذ بضع شعرات من راس « عائشة » وضمها الى شفتيه وهمس لنفسه : لقد هتفت بى الا انساها .. ولن انساها ابدا ! .. سانتظرك كما انتظرتنى !

وجدنا طريقنا بلا مشقة للعودة بين الكهوف

بلا مشقة .. فقد حرصت على ملاحظة الممر جيدا ..
وسكتنا جميعا ولم يتكلم احد منا أثناء العودة ..

واخيرا جئنا الى الصخرة المتأرجحة . كان اللوح قد اختفى ولم يكن هناك غير طريق واحد يمكن ان نقطعه ونعبره .. ووجب علينا هنا ان نقفز فوقه..

لم أعرف ماذا كانت الساعة الآن فلقد توقفت ساعتي ورجوت ان يكون الوقت قد قرب من الغروب .. ورجوت أيضا أن يعود شعاع الشمس الغاربة .. وجلسنا ننتظر دون أن نعرف ما اذا كان سيأتي ذلك الضوء ومتى ..

وبعد بضع ساعات انبثق خلال الظلام سيف من شعاع احمر .. **وقلت** : سأذهب انا أولا وتجلس انت على الطرف الآخر من الحجر لتحتفظ به ثابتا ..

وبعد ذلك فعلت شيئا لم أفعله منذ كان « ليو » صبيا صغيرا .. وضعت ذراعي حوله وقبلته **وقلت** : وداعا .. وآمل أن نلتقي ثانية !

ثم عدت الى ابعد ما استطعت لأحصل على اكبر مسافة تسمح لى بالجرى وانتظرت حتى جاءت هبة من تلك الريح .. وكان املى فى العبور انها ستساعدنى ..

ثم علمت ، وانا فى وسط الهواء انى قد قفزت قفزة ناقصة .. ان يدى وجسمى فقط قد وصلا الى الأرض وبقيت رجلاى فى الهواء !

ثم سمعت صرخة .. ورايت « ليو » وسط الهواء .. ومر جسمه سريعا من فوقى .. ! وكانت قفزته رائعة حقا .. ولقد حققها مدفوعا بالخوف وبما بدا من فقدان الأمل فى المحاولة .. وقذف بنفسه الى الصخرة حتى وصل الى ومد ذراعه نحوى وسمعت قرقعة عظامه وهو يشدنى نحوه بقوة رائعة شابة .. ورفعنى رفعا حتى استطعت ان اعبر بامان



وجــذبنى الى أعلى ••

٢٠٢٣

الى سطح الصخرة .. ولكنا قد تركنا مصابيحنا وراءنا طبعا . وكان علينا الآن أن نتحسس طريقنا فى الظلام . ولم نكن قد أكلنا شيئا أو شربنا ماء عدة ساعات وكنا نشعر بالضعف لذلك ..

ورقدنا على الأرض ثم رحنا فى النوم لمدة .. ولست ادرى متى ؟ ! ثم سرنا متحسسين طريقنا قدما بقدم وبوصة ببوصة .. !!

واخيرا عندما فقدنا الأمل تقريبا رأينا بياضا خافتا امامنا .. وعندما خرجنا من الكوخ كان الصباح المبكر قد طلع ..

قلت : استمر يا « ليو » .. واملنا الا يكون « بلال » قد جاء !

وبينما كنا ناخذ طريقنا على ايدينا وركبنا فوق

الصخور (ذلك أننا كنا اضعف من ان نشد قامتنا وقوفا) رآنا أحد الخدم وجرى عائدا الى الأشجار ..

ورايت « بلال » يجرى مهرولا نحونا ..

وصرخ قائلا : يابنى .. ! .. والأسد .. ! ان شعره ابيض .. ولكن اين الآخر ؟ .. واين هذه التي - يجب - ان تطاع .. ؟

أجبته : ماتت .. كلاهما مات .. !!

(٣٣) رحــلة العــودة

عندما استيقظت رايت « بلال » جالســا الى سريرى . وكنت فى كوخ جهزه خدم « عائشـــة » من اغصان الاشجار . وفى الناحية الأخرى من الكوخ رايت « ليو » لايزال نائما وكان شــعره جد ابيض وقــد تشققت ذراعه وجرح وجهة بفعل الصخور .. واغلقت عينى مرة ثانية ..

قال ((بلال)) : لقد نمت نوما طويلا !

فسألته : كم كان طويلا ؟

فأجاب : يوما وليلة . اخبرنى ماذا حدث ؟

لم اخبر « بلال » بكل شىء ولكنى انبأته بكل ما هو ضرورى وكنت استطيع ان ارى أنه لم يصدق ان (هى) قد ماتت .. **ومع ذلك فقد قال « بلال » :**

ــ لقد قررت بحكمتها أن تتركنا مدة من الوقت .. ولقد حدث مرة ، أثناء زمن أبى أن غابت اثنى عشر عاما ، كما قيل ايضا انها غابت كذلك اربعين عاما ، منذ زمن طويل .. ثم عادت وقضت على امرأة أخرى كانت قد احتلت مكانتها كملكة تحكم شعبنا ..

ولم أذل شيئا .. **وواصل « بلال » حديثه :**

ــ والآن ربما تريد ان تغادر هذه البلاد ؟ .. لقد سمعت أن وراء الوادى الكبير .. وبعد رحلة تستغرق ثلاثة ايام عبر الأراضى الواطئة .. ثم سبخة

ايام بعد ذلك تجد بعدها نهرا كبيرا . لقد انقذت حياتى مرة عندما سقطت فى الماء .. وانا الآن قادر على معاونتك ولكن انظر .. ! ان الأسد يستيقظ الآن .. يجب ان تاكل الطعام الذى اعددته لك !

وظل « بلال » غائبا طيلة اليوم التالى يعد تجهيز الرجال ليحملونا والمرشدين ليهدونا الطريق **وقال :**

ــ انى سآتى معكم لانى لا اثق بهؤلاء الرجال ..!

ولن اقول شيئا عن هذه الرحلة . وسرنا خلال الأرض الواطئة وجئنا فى النهاية الى واد مفتوح خال من الأشجار وليس فيه علامات على مساكن الناس . كان على « بلال » ان يعود .. **وقال :**

ــ وداعا ايها « السعدان » .. ووداعا ايها الأسد .. لا استطيع الآن ان افعل المزيد لكم .. سأذكركم كثيرا .. !

وعاد ووقفنا نراقب صف الرجال وهم يعودون حتى غابوا عن الأنظار .. واخيرا وصلنا الى قرية صغيرة ، وكان النـاس فيهـا ذوى مودة ، وسـاعدونا اثنـاء الطريق .. وهكذا جئنا اخيرا الى زامبيزى ووصلنا خليج « ديلاجوا » حيث وجدنا سفينـة نقلتنـا الى انجلترا ..

وليست هذه هى نهاية القصة .. القصة التى بدأت منذ الفى عـام .. ولابد ان تصل ايضا الى الأعوام التى ستجىء .. وكثيرا ما اجلس ليلا واحاول ان انظر فى ظلام الزمن الذى لم يولد .. واتساءل اين وكيف سيمضى هذا الزمن .. ؟ !!

الفهـرس

الصفحة

اقرأ في هذه السلسلة :

١ ـ أوليفر تويست :
تأليف : تشارلس ديكنز .
ترجمة : مختار السويفى .

٢ ـ الآمال الكبرى :
تأليف : تشارلس ديكنز .
ترجمة : مختار السويفى .

٣ ـ ثورة على السفينة بونتى :
تأليف : وليم بلاى .
ترجمة : مختار السويفى .

٤ ـ مغامرات شيرلوك هولمز :
تأليف : سير آرثر كونان رويل .
ترجمة : محمد العزب موسى .

٥ ـ المغامرات المرحة لروبن هود :
تأليف : هوارد بايل .
ترجمة : نادية فريد .

٦ ـ القصار :
تأليف : ادجار آلان بو
ترجمة : نادية فريد .

٧ ـ عائلة من سويسرا :
تأليف : يوهان فايس .
ترجمة : سناء صليحه .

٨ ـ مغامرات توم سوير :
تأليف : مارك توين .
ترجمة : مختار السويفى .

٩ ـ مغامرات هكلبرى فين :
تأليف : مارك توين .
ترجمة : مختار السويفى .

١٠ ــ رحلة كون تيكى
تأليف : ثور هايردال
ترجمة : محمد المزب موسى .

١١ ــ حكايات من شكسبير(١) :
تأليف : وليم شكسبير .
ترجمة : الشريف خاطر .

١٢ ــ المزيف :
تأليف : روبرت أونيل .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٣ ــ المخطوف :
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٤ ــ الفرسان الثلاثة :
تأليف : ألكسندر دوماس .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٥ ـ **الأرض الطيبة :**

تأليف : بيرل بك ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

١٦ ـ **حول العالم فى ثمانين يوما :**

تأليف : جول فيرن ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

١٧ ـ **رحلة الى مركز الأرض :**

تأليف : جول فيرن ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

١٨ ـ **سجين زندا :**

تأليف : أنتونى هوب ٠

ترجمة : محمد العزب موسى ٠

١٩ ـ **أنا كارنينا :**

تأليف : ليو تولستوى ٠

ترجمة : محمد العزب موسى ٠

٢٠ ـ جين اير :

تأليف : شارلوت برونتى .

ترجمة : صبرى الفضل .

٢١ ـ مرتفعات وذرنج :

تأليف : اميلى برونتى .

ترجمة : صبرى الفضل .

٢٢ ـ رجال عظام ونساء عظيمات :

تأليف : ليزلى ليفيت .

ترجمة : مختار السويفى .

٢٣ ـ دافيد كوبر فيلد :

تأليف : تشارلس ديكنز .

ترجمة : مختار السويفى .

٢٤ ـ حكاية مدينتين :

تأليف : تشارلس ديكنز .

ترجمة : حسين البنهاوى .

٢٥ ـ أوقات عصيبة :
تأليف : تشارلس ديكنز .
ترجمة : د. على كامل شحاته .

٢٦ ـ مذكرات بيكويك :
تأليف : تشارلس ديكنز .
ترجمة : د. أنور شنتا .

٢٧ ـ توم جونس :
تأليف: هنرى فيلدنج .
ترجمة : ناديه فريد .

٢٨ ـ الزنبقة السوداء :
تأليف : الكسندر دوماس .
ترجمة : صبرى الفضل .

٢٩ ـ بعيدا عن الناس :
تأليف : توماس هاردى .
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال .

٣٠ ـ العقل والعاطفة :
تأليف : جين أوستين .
ترجمة : صبرى الفضل .

٣١ ـ الكبرياء والهوى :
تأليف : جين أوستين .
ترجمة : صبرى الفضل .

٣٢ ـ حكايات من شكسبير(٢).
تأليف : وليم شكسبير .
ترجمة : الشريف خاطر .

٣٣ ـ ذات الرداء الأبيض :
تأليف : ويلكى كولينز .
ترجمة : نادية فريد .

٣٤ ـ جزيرة الكنز :
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .
ترجمة : مختار السويفى .

٣٥ ـ كنوز الملك سليمان :
تأليف : سير رايدر هاجارد .
ترجمة : مختار السويفى .

٣٦ ـ دكتور جيكل ومستر هايد :
تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .
ترجمة : مختار السويفى .

٣٧ ـ قلعة الخطر :
تأليف : مارى ستيوارت .
ترجمة : صبرى الفضل .

٣٨ ـ ابناء الغابة الجديدة :
تأليف : كابتن ر . ن . ماريات .
ترجمة : نادية فريد .

٣٩ ـ ثلاثة رجال فى قارب :
تأليف : جيروم ك . جيروم .
ترجمة : د. على كامل شحاتة .

٤٠ ـ اللؤلؤة :
تاليف : جون شتاينبك ٠
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال ٠

٤١ ـ آخر ايام بومبى :
تاليف : لورد ليتون ٠
ترجمة : صبرى الفضل ٠

٤٢ ـ شجرة الجكاراندا :
تاليف : هـ ٠ ا ٠ بيتس ٠
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال ٠

٤٣ ـ كيبس :
تاليف : هـ ٠ ج ٠ ويلز ٠
ترجمة : عبد الغنى داود ٠

٤٤ ـ من الارض الى القمر :
تاليف : جول فيرن ٠
ترجمة : صبرى الفضل ٠

٤٥ ـ أول رجال على سطح والقمر :
تأليف : هـ . ج . ويلز .
ترجمة : صبرى الفضل .

٤٦ ـ أرواح شريرة :
تأليف : هنرى جيمس .
ترجمة : الشريف خاطر .

٤٧ ـ خليج القرصان الفرنسي :
تأليف : دافنى دى موريبيه .
ترجمة : سعد توفيق .

٤٨ ـ قصص قصيرة من الأدب العالمي(١) :
تأليف : نخبة من الادباء العالميين .
ترجمة : مى التلمسانى .

٤٩ ـ ايفانهو :
تأليف : سير والترسكوت .
ترجمة : صبرى الفضل .

٥٠ ـ قصص قصيرة من الأدب العالمي(٢) :
تأليف : نخبة من الأدباء العالميين ٠
ترجمة : محمد العزب موسى ٠

٥١ ـ قصص قصيرة من الأدب العالمي(٣) :
تأليف : نخبة من الأدباء العالميين ٠
ترجمة : محمد العزب موسى ٠

٥٢ ـ مون فليت :
تأليف ج ٠ ميد فوكنر ٠
ترجمة : مختار السويفى ٠

٥٣ ـ ابكي يا بلادى الحبيبة :
تأليف : آلان باتون ٠
ترجمة : محمد العزب موسى ٠

٥٤ ـ مزرعة الحيوان :
تأليف : جورج أورويل ٠
ترجمة : صبرى الفضل ٠

٥٥ ـ هي أو عائشة :
تأليف : سير رايدر هاجارد ٠
ترجمة : صلاح عز الدين ٠

٥٦ ـ شيرلوك هولمز (٧ قصص) :
تأليف : سير آرثر كونان دويل ٠
ترجمة : نادية فريد ٠

٥٧ ـ الكونت دى مونت كريستو :
تأليف : الكسندر دوماس ٠
ترجمة : صبرى الفضل ٠

رقم الايداع ١٩٩١/٩٤١٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 2917 — 8

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الغموض .. الإثارة .. المغامرة والاحداث السريعة المتلاحقة .. المفاجآت التي تحبس الانفاس .. الجولات المثيرة في ربوع ومجاهل افريقيا ..

هذا هو الطابع العام الذى يميز معظم الروايات والاعمال الادبية لهذا الكاتب الاديب الانجليزى العظيم سير هنرى رايدر هاجارد .

وقد سبق ان قدمنا في هذه السلسلة روايته الشهيرة : كنوز الملك سليمان .





٨٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب